

# الأدلة العلمية

على هبواز ترجمه معانى القرآن الى اللغات الأجنبية

تأليف

محمد فوزان زكريا

مدير مجلة الأزهر

ردود علمية على الذين يذهبون الى عدم جواز  
ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغات الأجنبية،  
تصحيحا للترجمات الموجودة وتعميما للدعوة  
الاسلامية . ودخول جميع الشبهات التي يثيرها  
بعض الكتاب على هذا العمل الجليل .

ملحق بالجزء الثاني من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٥

« بوزع بالمجان »



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للعالمين ، وجعله تبصرة لخلقه أجمعين ،  
والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين .

## مقدمة

القرآن العظيم هو آية الله الكبرى للخلق كافة ، أنزله بلسان عربي مبين ،  
ونذب الذين يتولونه أن يبلغوه للعالم بكل وسيلة تصل اليها قدرتهم ، فهو  
أمانة عهد بها اليهم ، ودعوا للقيام بحقها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فقال  
تعالى : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس  
في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

وأهل القرآن إنما ندبوا لذلك لأن له مقاصد عالمية لا تتم إلا بتعميم نشره ،  
واشتراك أمم مختلفة في إقامته . وهذه المقاصد العالمية تنحصر أصولها في الراي  
الآتية ، وهي :

١ - تطهير العقائد الأولية مما أدخل عليها من آراء المتزيين ، وأضاليل  
التأولين .

٢ - إنقاذ الضمير البشري من الذين انتحلوا حق التسلط عليه ، وتطهيره  
مما ران عليه من وساوسهم وخزعبلاتهم .

٣ - إقامة سلطان العقل ، وإعلان حرية النظر ، وهدم صنم التقليد .

٤ - إسقاط الوسطاء بين الله وخلقه ، والمناداة بالمساواة العامة بين الناس

أجمعين .

٥ - وحدة الجماعات البشرية كافة ، بقيامها جملة على كلمة الله العليا .

٦ - إهدار ما بيننا من فروق قومية ، واختلافات جنسية ولغوية في ظلال

الوحدة الانسانية .

٧ - الرجوع بالدين الى أصله الأول الذي أوحاه الى جميع الأمم خالصا من كل شائبة بشرية ، ونبذ ما دسه الزعماء الى جوهره من تأويلات وشروح مما جعل الناس فيه أحزابا وشيعا .

٨ - إقامة دولة الحق في الأرض ، وجمع القلوب عليها ، والتضافر على إزهاق الباطل .

٩ - دخول الأمم كافة الى حظيرة السلام ، والتكافل على تحقيق الخير العام ، بنشر التعاليم الفاضلة بين الناس قاطبة .

١٠ - دوام الارتقاء في العلم والعمل ، والوصول الى الحق من طريق النظر في آيات الله ، وتحمي النمل العليا للوصول الى السكال المقدر للانسان .

١١ - إنذار من لا يساهم من الجماعات على تحقيق هذا الاصلاح العام بالمعذب في الدنيا ، وسوء المنقلب في الحياة الأخرى .

هذه أصول ذات مقاصد عالمية ، لا تتم على يد أمة واحدة ، ولا بد من اشتراك أمم مختلفة فيها ، ليتحقق معنى أنها إصلاح عالمي عام ، تقوم به الحجة ، ويصالح أن يكون مثلاً أعلى في كل زمان ومكان . وقد صرح الله تعالى بأن القرآن هو ختام الوحي الالهي ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين الى الناس كافة ، قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقد أمر من يدين بالاسلام من الناس أن يتحملوا الأعباء التي يفرضها الحق عليهم بالدعوة الى هذا الاصلاح العام بكل وسيلة ، فقال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والوعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » وقال تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

إذا كان الأمر كما ترى أفيستطيع المسلمون أن يهملوا تبليغ مآدبوا الى تبليغه اعترافاً منهم بالقصور ، أو تلبساً بالتقصير ، فيستبدل الله بهم قوماً غيرهم

كما أوعد بذلك فقال : « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ؟

ليس في هذه الملة من لا يسلم بصدق المقدمات التي قدمناها والنتيجة المترتبة عليها ، ولكن الخلاف بين المتكلمين ينحصر في الأسلوب الذي تؤدي به أمانة التبليغ التي في أعناقنا للأمم كافة .

### أساليب الدعوى في مختلف العصور :

قد مضت عهود تاريخية كان للتفاهم فيها أساليب قضت بها سنن الاجتماع ، وقد أفادت المسلمين هذه الوسيلة في أول عهدهم ، فدخلت في الاسلام أمم برمتها ، ولم يمض عليهم قرن واحد حتى بلغ عدد أتباعه نحو مائة مليون نسمة من شعوب مختلفة

ولكننا في عهد أصبح أقل الناس فيه شأنًا يحسب لنفسه وجوداً أدبياً ، واستقلالاً ذاتياً ، وحرية غير محدودة في الانتقال من دين إلى دين .

وشعر الذين نالوا حظاً من الروح الاسلامية من رجالات هذا العصر بفداحة التبعة المترتبة على كتمان ما استؤمنوا عليه من هذه الوديعة الالهية ، وتركها محصورة فيهم ، موقوفة عليهم ، في عهد أصبحت فيه جميع النظم الاجتماعية ، والربط الأدبية في بوتقة النقد الدقيق ، واستمدت المقول لقبول أى علاج كان يفرج الكروب ، ويأسو الكوم ، ويحل المااضل ، وينهج محجة لا تفرق بأهلها عن الرشد ، ولا تبعد بهم عن الغاية ، ولا تلتوى بهم في مضال طال عليهم الأمد فيها ، وأصبحوا عنها راغبين . فرأى الذين شعروا منا بأمانة التبليغ أن الضن بالبلسم الشافي لجراح الانسانية ، والشح به والناس أحوج ما يكونون اليه ، والمقول أعطش ما تكون الى جديد ، وأرجى ما تكون لمفاجأة ، يعتبر لدى العارفين أكبر جريمة يمكن أن ترتكبها جماعة أسند اليها الاضطلاع بعمل عالي عظيم . فنشطوا لترجمة معاني القرآن الكريم الي أمهات اللغات العالمية ، خروجاً من هذه التبعة ، وإعذاراً إلى الله بهذا العمل ،

لتعمل آيات الله في العقول والقلوب ، وهي في مزدحم الآراء والمذاهب التي تغلّي بها رؤوس القادة وتفيض منها على ألسنتهم ، ما عملته فيما سلف ، ولترتهم أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، فينفتح له طريق إلى ضمائر الناس وألبابهم ، فقد رأوا من آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم ما يريهم رأي العين أنه هو الحق الذي يعوزهم ، كما وعد الله بذلك في قوله : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ؟ يقولون : هذا كلام لا شىء فيه ولكن يكفى أن تؤلف رسائل تبين أغراض الاسلام ، وأن تنشر هذه الرسائل بين الأمم . ويفوتهم أن الاقتصار على الرسائل لا يفي بالغرض المقصود ، ولا يخلينا من تبعه كتمان ما أنزل الله لأسباب كثيرة ، أهمها :

(أ) أن الأمم لا تقبل على قراءة هذه الرسائل كما لا تقبل نحن على قراءة رسائل المبشرين ، اعتقاداً من تلك الأمم أن هذه المطبوعات تكتب للدعاية ، وأنها يتجرى فيها التأثير الخطابي ، والخلابة الكتابية .

(ب) أن الخصوم يستطيعون أن يقاوموا رسائلنا برسائل مثلها ، مدعين أن ما نكتبه فيها ثمرة ما حصلناه من علومهم ، لا ثمرة تعاليم كتابنا ، وقد كتبوا عنه أنه غذاء عقيم لأهله . ( انظر كتاب رسائل في الدين للمبشرين باللغة الانجليزية ) .

(ج) أن الأمم المعاصرة لا يقنعها أن تأخذ الشيء بالواسطة ، وبفهم سواها له ، وإنما تريده من مصدره الأول ، وتدعى أنها تفهم منه أكثر مما يفهم أهله الأخصون . فترجمة معاني القرآن والحالة هذه أصبحت في هذا العصر أمراً لا مناص منه ، قياماً بالمعهد الذي في أعناقنا له ، وإلا استحققنا ما يوعد الله به المقصرين في تبليغه .

يقولون : إن القرآن منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ،

فإن سلمنا لكم بترجمة معاني آياته المحكمة ، فلم تشبثون بترجمة آياته المتشابهة ،  
أريدون أن تثيروا شبهات على القرآن ؟

نقول : أنتم أعلم أم الله ؟ إنه جل وعز أنزله محكما ومتشابهها والعرب في جاهلية  
جهلاء ، وأمية صماء بكلاء ، وقد وصفهم في عشرات من الآيات بأنهم كانوا  
لا يعلمون شيئا ولا يعقلون ، وبأنهم كالخشب المسندة ، وكالأنعام الساعية بل أضل  
سييلا . والقرآن اليوم منتشر بين الأمم الاسلامية على ما أنزل عليه ، وفيهم أقوام  
لا يكادون يفقهون قولاً ، أفلا يسعنا ما وسع الحق نفسه ، ووسع رسوله  
فبلغه كله ؟

إن هؤلاء لا يهتمون بسوء النية ، ولكنهم مفترون بالحصة الضئيلة من  
العقلية التي حصلوها ، ويغيب عنهم أن هذه الآيات المتشابهة جزء لا ينفصل  
من القرآن ، وربما انكشفت منها آية واحدة ليمض أهل البصائر فلاً منها طابق  
الأرض نورا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

بقولهم انه زعموا القرآن لا يحوز :

يقولون هب أن كل ما تقوله حق ، ولكن ما العمل وقد أجمع الأئمة أن ترجمة  
معاني القرآن لا يحوز ؟

نقول : بالضيعة العلم ! أفى مثل هذا البلد الذي يعتبر مثابة للاسلام ، وبين  
ظهراني الألوف المؤلفة من علمائه ، يتجرأ المتجرون على اتهام أئمة الدين الأولين  
بمحصر معاني كتاب الله في اللغة العربية وعدم تمديتها الى الأمم التي كلفنا  
بإبلاغها اليهم ؟

فانظر إلى أي دركة وصل بمضنا في تدهوره من إغفال الناحية العالية  
للاسلام ، حتى أصبح لا يسمهم ما وسع آباءنا الأولين من لدن القرن الأول ،  
بل ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمح بأن تترجم الفاتحة ويقرأ بها مترجمة  
في الصلاة . وقد بنى أبو حنيفة مذهبه على هذه الحادثة .

### أرو نجيب :

نعم ، ألا تعجب من قوم أوتوا كتابا نص فيه على أنه للعالم كافة ، لالقوم خاصة ، وأمروا أن يقوموا بتبليغه الى الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، فقام أوائلهم بما تسنى لهم القيام به من ذلك على الطريقة التي كانت مألوفة في زمانهم ، فلما آل الأمر الى أهل هذا الجيل ، وتغيرت سنن التبليغ ، وقامت العوامل الأدبية مقام العوامل المادية ، ونقلت عليهم تبعه التقصير ، فهبوا يجرون على سنة العصر ، بترجمة ذلك الكتاب الكريم الى اللغات الأجنبية ، وفاء بما حملوه من هذه الوديمة ، هب منهم قوم يدعون بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، وقد بلغ منهم الذعر المتصنع غايته ، وأخذ منهم الهلع المتكاف مأخذه ، يلتدمون صدورهم ها وكذا ، ويذرفون الدموع الحرى كربا وأسفا ، ويتماهدون على عرقلة هذا المشروع بكل وسيلة ؟ !

على أى شىء كل هذا ؟ أوراها تحريف القرآن العربى المبين ؟ أم حلول الترجمات محله عند المسلمين ؟ أم ضياع جلال الدين ؟ أم تمكين الكافرين من رقاب المؤمنين ؟ أم فتح الثغور الاسلامية للفرزة والفاحين ؟ أتعدى المسألة مها بولغ في تهويلها ، واستهتر في تدليسها ، أن طائفة من المسلمين قاموا يعملون ما فيه خلاف بين فقهاء المذاهب ، وأكثرهم يرى أنه عمل جائز شرعا بل هو مستحسن ؟

فهل يسع هؤلاء المتظاهرين بالغيرة على الدين أن يناموا على عيونهم وقد طمت البدع في المسلمين ، وانتشرت الاباحة بين الناس أجمعين ، وعم الفساد الأبعدين والأقربين ، ولا يسمهم أن يفمضوا الطرف عن أمر كل ما يمكن أن يقال فيه أنه مخالف لرأى بعض العلماء المتقدمين ؟

فماذا تملل ما هم فيه من الهم الناضب ، والقلق الواصب ، وقد ثبت للناظرين بكل دليل أن ترجمة القرآن يجوزها أكبر مذهب في المسلمين ، ويستحسنها جمهور من العلماء الممتازين ، من جميع مذاهب المتقدمين ؟ أنا أترك التعليل للقارئين .

## من أين يأتي المعارضون بأدلتهم ؟

لعلك تقول بعد هذا كله : إذا كان الأمر كما تذكر فمن أين يأتي الذين يعارضون هذا الموضوع بالأقوال من كتب المذاهب معزوة الى علماء مشهورين فيها ؟

تقول : اليك بيان هذا الأمر :

إن الذين يتولون المعارضة في ترجمة معاني القرآن الكريم فرقتان : إحداهما تستهتر في معارضتها قصورا منها في العلم ، وقصر آ في النظر . وثانيتها جريا وراء اعتبارات تتأثم أن نخوض فيها رجما بالغيب .

وقد اتفقت الفرقتان على القول بأن المسلمين ( أجمعوا ) على عدم جواز ترجمة معاني القرآن ، وهم لأثبات هذا القول يسكثرون من إيراد عبارات يتصيدونها من كتب الفقه ، أثرت عن الذين كانوا يقولون بعدم الجواز ، مغفلين من عداهم من القائلين بجواز ترجمته ، إيهاما للناس بأن إجماع المسلمين انعقد على تحريم الترجمة .

ولا يخفى على أحد أن حرية البحث أصل من أصول الاسلام ، حتى لا تكاد تجد مسألة فرعية لم يحدث فيها خلاف ، ليس بين أصحاب المذاهب المختلفة فحسب ولكن بين علماء كل مذهب منها أيضا . ومسألة ترجمة القرآن هي إحدى هذه المسائل التي عرضت للمسلمين من أول ظهور الاسلام واختلفت فيها الآراء .

فترى أصحابنا المعارضين يعمدون الى جمع الآراء المعارضة في صعيد واحد ، ليظن كل من يلتقى بنظرة عليها أنهم يسوقون الفقه كله بين أيديهم ، إيهاما للعامة ومن في حكمهم أن المسلمين الأولين كانوا يحرمون ترجمة القرآن الكريم تحريما باتا ، وأن القائلين بوجوب ترجمته من المعاصرين مبتدعون ، ليصيبيوا هدفهم من إثارة نفوس الدهماء على المصلحين ، شأن إخوانهم المشبطين في جميع أدوار النهضة الاجتماعية والأدبية .

ونحن لوقاية الناس من خطر هذا التلبيس الشنيع نضطر هؤلاء الشياطين إلى حصر بحوثهم في مجالات محدودة ، بطرح هذه الأسئلة عليهم ، وهي :  
هل قال أبو حنيفة بجواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجماً للمعجز عن العربية أم لا ؟ وهل نصت على ذلك كتب الأحناف قديماً وحديثاً أم لا ؟  
وهل على مسلم من بأس أن يتمذهب بمذهب أبي حنيفة الملقب بالامام الأعظم ويعتبر مسلماً سنياً أم لا ؟

وهل يعتبر ابن حجر شارح البخارى ، وابن بطال ، والشاطبي صاحب الموافقات ، والمقدسى ، والامامان محمد بن الحسن وأبو يوسف صاحباً أبي حنيفة ، وجميع من استشهدنا بأقوالهم في جواز ترجمة القرآن ، مسلمين سنيين أم لا ؟

### شبهات طريفة على ترجمة القرآن :

إن شئت أن تعرف أمثلة من هذه الشبهات الطريفة فإليك :

كتب واحد منهم في المقطم يقول ما خلاصته : لو ترجم القرآن إلى لغة أجنبية استطاع أهل تلك اللغة أن يدعوا أن هذه الترجمة هي أصل القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يوعزون الى بعض رجالهم بترجمته الى العربية في لغة سقيمة ، ويشيرون هذه الترجمة بين المسلمين موهمين إياهم بأنها هي القرآن نفسه ، فيضيع أصله وتبقى هذه الترجمة الساقطة بين أيدي الناس فيصيب القرآن ما أصاب الكتب الالهية التي نزلت قبله من ضياع الأصول وبقاء التراجم .

يخبرنا فلا تسأل هذا العالم : وأين تكون ملايين الملايين من القرآن العربي المبين إذ ذاك ؟ وأين يكون الثمانون مليوناً من الذين يتكلمون العربية ويعرفون قرآنهم كما يعرفون أبناءهم عند ظهور هذه الفتنة ؟ وكيف يمكن أن يروج مثل هذا الأفك بين الألفى مليون نسمة من سكان الأرض ؟ وكيف يتفق هذا ووعد الله بحفظه من كل سوء ؟

قلت : لاتسأله عن شيء من هذا ، فقد يسمك ما هو أشد منه إسلاما للعقول .

### شبهات صمد طراز آخر :

وقد قرأنا في المقطم أيضا لفضيلة الشيخ محمد سليمان أن في ترجمة القرآن أخطارا على أصل الدعوة الإسلامية ، وعزة اللغة العربية ، ومجد هذا الوطن .  
فنحن نسأل فضيلته : كيف يعقل أن تكون في ترجمة القرآن أخطار على الدعوة الإسلامية وقد شرط العلماء أن تكون تلك الدعوة بلسان الأقوام المدعويين ، وبالانتقال اليهم في بلادهم ؟

وهل يرى الأستاذ قولاً أقوى حجة ، وأفضل في النفس ، وأدخل الى مواطن الاقتناع من كلام الحق نفسه ؟ لقد قرأ الفيلسوف الإنجليزي برنارد شو نسخة القرآن المترجمة إلى الإنجليزية فقال : « إن الديانة الإسلامية كفيلة بأسوأ جراح الانسانية ، وإن العالم المتمدن قد بدأ يفهمها على حقيقتها ، ولا أظن أنه يمضي عليها قرنان حتى تكون قد أسلمت كلها » .

وقال العبقري الكبير جوت الألماني بعد أن قرأ ترجمة القرآن : « لو كان الدين الإسلامي هو هذا فنحن إذن فيه » .

وقال نديده الكبير كارليل الإنجليزي مثل قوله . وقال غيرهم من كبار العقول مثل قولهم . وليس فيهم واحد يعرف حرفاً من اللغة العربية ، وإنما هم نظروا في هذه التراجم القاصرة التي بين أيديهم . فهل يقال بعد هذا إن في ترجمة القرآن ترجمة صحيحة أخطارا على أصل الدعوة ؟

ما هي الدعوة التي تكون ترجمة القرآن خطراً عليها ؟ أهى الدعوة باللغة العربية ؟ هب أن رجلاً قام يدعو للإسلام في بلد أجنبي فقيل له أين كتابه ؟ فقال لهم : إن كتابه تستحيل ترجمته الى لسانكم . فسئل ولماذا ؟ فأجاب لأن علماء المسلمين يحرمون ذلك . أفتظن أن جوابه هذا يكون في مصلحة الدعوة الإسلامية ؟ بل هل في العالم من يعقله ويعطف على القائلين به والعاملين عليه ؟

أفلا يكون ذلك موجبا للسخرية فوق ما هو عليه من الصد عن الدين ،  
والاستخفاف بمقلية أهله أجمعين ؟

ننظر في الأخطار المتوقعة من الترجمة على عزة العربية :

الذي يعرفه الناس قديما وحديثا أن شرف اللغة وكرامتها ، ومكانة أهلها  
من الذخر الأدبي ، يكون بقدر ما يترجم عنها إلى اللغات الأجنبية . فإذا عرضت  
أمام عينيك أعز أمم الأرض اليوم كإنجلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها ، رأيت لغاتها  
أكثر اللغات عرضة للترجمة . فلا يكاد يصدر فيها كتاب قيم حتى يترجم إلى  
أكثر لغات العالم . وهذا في عرف الناس من أجل مفاخر لغات تلك الأمم  
ولما كانت الأمة العربية في أبهة سلطانها كانت الأمم كلها عالة على لغتها ،  
ترجم عنها ما ترى أنه يفيدها ، ولم يقل أحد إن ترجمة كتبها كانت تقـدح في  
عزة لغتها

فإن كان المراد أن تولينا نحن ترجمة القرآن بأنفسنا بقـدح في عزة لغتنا ،  
فنحن مضطرون إلى ذلك من ناحيتين : أولاها أن الأوربيين ترجموا القرآن تراجم  
سقيمة لا ترى مندوحة من تقويمها ، ولا يسمننا تركها على حالها . وثانيتهما أن  
مصلحة الدعوة تحفزنا إلى ذلك لأننا مكلفون بها شرعا ؛ والدعوة بالقرآن أبلغ  
ما يصل إليه الامكان ، وهو المأثور عن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ،  
فانه كان إذا أراد أن يدعو قوما قرأ عليهم ما تيسر منه ، فلا يجدون محيصا  
من التسليم به . قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا  
من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » وقال تعالى :  
« وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » أي وسأثر من بلغه من عموم  
الخلق . وقال تعالى : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد »

إذا كان الأمر كما ترى فلماذا نعدل عن هذه الطريقة إلى غيرها ؟  
يقول المتمنتون : الذي أمرنا أن نذكر به هو القرآن العربي لا ترجمته .  
نقول : إننا نذكر بالقرآن من يفهمه . فأما من لا يفهمه من الأجانب فنذكرهم

بترجمته ، كما ذكره ابن حجر في شرح البخارى نقلا عن ابن بطال . ولا بأس أن نعيد قوله هنا ، فقد قال : « إن الوحي متلوا أو غير متلوا إن أنزل بلغة العرب ، ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم ، لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربى ، وهو يبلغه الى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بالمتنهم » انتهى .

لتنظر في ضرر ترجمة القرآن بمجد هذا الوطن :

لم نسمع قبل اليوم أن تصدى أمة لترجمة كتابها المقدس بقصد تقويم الترجمات التي صدرت عنه ، وبقصد القيام بدعوة عامة للدين الذي يدعو اليه ، يقدر في مجد وطنها ، ويحط من كرامته .

ولكن الذي سمعناه ورأيناه بأعيننا أن أعز الأمم جانبها في هذا العصر تترجم كتبها المقدسة الى أحط اللغات العالمية ، وتعى بطيما وتجليدها وتوزع ملايين من نسخها بالمجان ، ولا يشعر أحد في تلك الأمم العزيزة أن مجد وطنها قد مس بسوء أو أصيب في كرامته ، بل اعتبر الناس جميعا أن هذا العمل قد أضاف مجدا الى مجد تلك الأمم ، وزادها شرفا على شرف . إن كان شعور المسلمين بالمجادة والسؤدد ، أشد في عهد منه في أي عهد آخر ، فقد كان ذلك في القرون الأولى من ظهور دينهم ، وكان العالم كله يمتدح لهم بهذه المجادة ويدين لها فعلا . ومع هذا فقد ظهر القول بجواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما لمن لا يعرف العربية في القرن الأول ، وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ ترجم سلمان رضى الله عنه فاتحة الكتاب الى الفارسية وصلى بها بعض من أسلم من الفرس ، وأصبح هذا الجواز في القرن الثاني ، أصلا مذهبيا في أكبر مذاهبهم الفقهية ، وأبدي كثير من كبار علماء المذاهب استحسانهم للترجمة دون الصلاة بها كما رأيت هنا .

وقد تنازع أصحاب المذاهب في مسألة الصلاة بالترجمة أو بطلانها ولم يذكر واحد منهم في الشبهات التي أدلى بها أن ترجمة القرآن تضرب مجد المسلمين أو تقدر

في كرامتهم . فهل يعقل أن نكون أكثر منهم شعورا اليوم بهذا المجد في هذا العهد ؟

أليس مما يزيد مجد هذا الوطن أن يعلم الناس أن لأهله ديناً قيماً ، وكتاباً معجزاً ، بدل أن يتوهموا أن ديننا مناسب لدرجتنا من التقدم ، وأنا نتخلى عنه متى اجتزنا دور الانتقال الذي نحن فيه ؟ أليس هذا هو سر حوم دعاة الملل حولنا ، وتحكمهم بنا طمعا في تصيدنا الى مللهم ؟ ألم يقل الأستاذ هانوتو : إن الاسلام يصلح قنطرة من الوثنية الى المسيحية ؟

إن هؤلاء الدعاة يستمدون كبار الأغنياء في العالم الجديد والحديث بدعوى أننا على دين ساذج لا يناسب التمدن ، ولا يقوى على البقاء معه ، وأولئك يصدقونهم فيما يقولون ويبدلون لهم القناطير المقنطرة من الذهب ، ليستمروا في دعايتهم . ولكن لو قرأ هؤلاء الأغنياء ترجمة القرآن التي يصدرها الأزهر ، ويكفي أن يعلن أنه مصدرها لتقرأ ، فانهم يدركون أن للمسلمين ديناً لا يهدم ، فيكفون عن مساعدة هؤلاء الدعاة أو يقلون من إمدادهم .

فهل تزيد مثل هذه النتائج المنتظرة في مجد هذا الوطن وسائر الأوطان الاسلامية أو تنقص منها ؟

كفي هذا البيان ، ولا أريد على ماسألت جوابا .

### الرأى العام الانجليزى وكتاب الصلاة :

ومما كتبه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان فى المقطم تنويرها بسلطان الرأى العام أن قسوس الانجليز رموا منذ أعوام الى إحداث تغيير فى كتاب الصلاة فأبى عليهم الرأى العام ذلك وبقي نصه على ما كان عليه .

يريد الأستاذ من إيراد هذه المسألة أن للرأى العام أن يضطر مشيخة الأزهر الى المدول عن ترجمة القرآن .

وهذا قياس مع الفارق ، فان قساوسة الانجليز كانوا أرادوا أن يحوروا

نص عبارات الصلاة بما يجعلها أكثر ملاءمة للأفكار الحديثة في مقابل وضع صيغ فيها تقرب من الكاثوليكية ، فتصدي لهم المحافظون وتمكنوا من التأثير في مجلس المموم على إبقائها على ما كانت عليه ، فاقترح ضد التعديل ، وبقي نص الصلاة على ما كان عليه . ولكن هل منعهم حق ترجمته إلى عشرات من اللغات الانسانية زاعما أن ذلك يحط من كرامة الوطن ، أو يسقط من مجادته ؟ بهذا كان يصح القياس لا بأبقاء نص الصلاة على ما كان عليه .

أين هذا من موقف الأزهر اليوم ؟ إنه يرى أنه قد صدرت ترجمات عديدة للقرآن الكريم بأكثر اللغات الحية كلها مصدرة بمقدمات تقسح في قداسة الاسلام ، وفي صدق رسوله ، وليس فيها واحدة يمكن الاعتماد عليها ، ويرى أن سكوته حيالها إقرار ضمنى بصحة ما جاء فيها . وفي ذلك إثم كبير ، بل خطر عظيم على الاسلام والمسلمين . أفلا يكون من أهم ما يجب أن يعنى به الأزهر وضع ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم تتلافى ضرر الأخطاء الفاحشة التي جاءت في تلك التراجم الكثيرة ، فيقف الناس على حقيقة الاسلام من مصدره الأقدس ، وبخاصة في هذا العهد الذي تنفلى فيه الرءوس في أوروبا وأمريكا وآسيا بطلب التجديد والوقوف على الحقائق الناصعة ، وإزاء حركة المؤتمرات الدينية التي تعمق كل عام في عاصمة من أكبر عواصم الأرض ؟

أمن الورع أن يقف المسلمون جامدين مكتوفي الأيدي أمام أمثال هذه الحركات الفكرية والروحية ليتوهم العالم كله أننا لا نملك سلاحا نكافح به في ميدان هذا الجهاد الفكري في هذا العصر المنير ؟

ألا يعتبر جمودنا هذا من إضاعة الفرص السائحة ، وإفاته الظروف الملائمة ؟ ينخيل إلى أنه لو جمد الأزهر على النحو الذي يشير به الأستاذ الشيخ محمد سليمان اليوم ، وبت في العالم أمر من الأمور الدينية غداً ، لجاء فضيلته بمسلاً الجو صياحاً قائلاً : أين كان الأزهر والأفكار في إبان غليانها ، والبحوث في أشد ثورانها ، ألا كان يجب عليه أن يزج بنفسه في هذه المممة السلمية ، فيرفع شأن الاسلام كما هو به خليق ، ومنه أولى ؟

يقولون نعم ، ولكن أولى من ترجمة القرآن الاكثر من الرسائل  
والكتب .

هيات ! لا يعقل أن توجد أداة لنشر الاسلام تضارع القرآن ، وليس  
في قدرة البشر أن يبتكروا أسلوبا كأسلوبه في جذب العقول والأرواح .  
والترجمة إن حجت إعجازه اللفظي فلا يمكن أن تحجب إعجازه المعنوي وهو  
الذي عليه العمول وبخاصة في هذا العصر .

واخجلناه ! إن بعض المسلمين يعملون على صد نور القرآن أن عملاً آفاق  
الأرض ، بحجج ما أنزل الله بها من سلطان ، بل بشبهات لا تمت الى العلم ولا الى  
العقل بأمد صلة ، هدام الله !

#### بلغاريا تنشى كلية للغة العربية:

وقال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان في كلمته التي كتبها في مقطم ٢٢ ابريل  
الحالى : إن حكومة بلغاريا قررت إنشاء كلية إسلامية تدرس العربية في صوفيا  
لمسلميها .

يقول الأستاذ هذا وهو يعلم من قراءة تفرافات الجرائد ، أن المسلمين  
يكابدون في بلغاريا قلما سياسيا اضطرهم للهرب جماعات جماعات الى البلاد  
التركية ، وكثيرا ما اضطر بوليس الحدود البلغارية لاطلاق النار عليهم . وقد  
أكثر تركيا من لفت نظر الحكومة البلغارية الى ذلك .

وفضيلته يعلم أن الشيوخ الأتراك خارج تركيا ناقون كلهم على الحكومة  
الكلمية ، وعاملون على تسوية سمعتها ، ومعاكسة تجديدها ، وأن بعض  
الدويلات البلقانية تشجهم على ذلك ، ولكننا نستبعد أن تنشى بلغاريا مدرسة  
لتعليم العربية ، لأنه لا يعقل أن تنشى الحكومة هنالك كلية تنفق عليها  
الألوف المؤلفة وهي في حاجة ماسة الى مثلها لتعليم أبنائها لغتهم الوطنية ،  
ولا تسمح لها سياستها المالية بأنفاق درهم واحد لنشر لغة أجنبية .

## أندونيسيا وتعليم اللغة العربية :

يقول فضيلة الشيخ محمد سليمان : إن المسلمين في أندونيسيا أسسوا خمسمائة مدرسة لتعليم اللغة العربية .

نقول : أندونيسيا اسم يطلق على مستعمرات هولاندة في القارة الأقيانوسية وهي جزر جاوه وسوق وسليبي وأبالجه وجزائر الملوك وأجزاء من جزر أخرى يقدر عدد سكانها بنحو ستين مليوناً سوادهم الأعظم مسلمون ، وفيها جالية من عرب حضرموت وغيرها ، قصدوها للتجارة ، وأسسوا فيها مستعمرات عربية خاضعة للحكومة الهولاندية .

التعليم في أندونيسيا في يد الحكومة الهولاندية ، وقد سمحت للأهالي بتأسيس مدارس على طراز كتاتيبنا المصرية ، يتعلم الأطفال فيها القراءة والكتابة ومبادئ الحساب الخ ، ومعظم الشعب على حالة أمية مظلمة ، وجهد مطبق ، ولهم لغة خاصة بهم لا تمت إلى العربية بأضعف صلة ، ولشدة ولع الأندونيسيين بالاسلام ترجمت لهم بعض الكتب الاسلامية ، ككتاب التوحيد الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله ، وكتاب المدينة والاسلام ، وكتاب الاسلام دين عام خالد مؤلف هذه الرسالة

فاذا كان للأندونيسيين خمسمائة مدرسة فهذا عدد ضئيل جداً بالنسبة لعدد الضخم . فانه إذا كان في مصر نحو عشرة آلاف مدرسة يتعلم فيها نحو مليون من التلاميذ ، والتعليم عندنا لم يبلغ الدرجة الالزامية لجميع الأفراد كما هو في البلاد المتقدمة ، فيجب أن يكون عدد المدارس في أندونيسيا أربعين الف مدرسة وأربعة ملايين تلميذ لتصل إلى الدرجة التي نحن عليها . فأين الخمسمائة مدرسة من مثل هذا العدد ، وما قيمة ما تنتج هذه المدارس من عارفى اللغة العربية بعد دراسة أربع أو خمس سنين ، ولهجتهم أعجمية باحتة ، وأنت خبير بحظ اللغة العربية عند من تنتجهم أمثال هذه المدارس عندنا في مثل تلك المدة ولهجتهم أصولها عربية ؟

فتمنية النفس بتعميم اللغة العربية في بلاد المسلمين الذين لغاتهم أعجمية  
يمثل هذه الوسائل ، يعتبر اشتغالا بالأوهام ، وتسليا بالأحلام ، وليس ذلك من  
مصلحة الدين في شيء .

إن توحيد اللغة في أربعائة مليون نسمة من المحالات العقلية ، ولو أمكن  
لسمى اليه قبلنا الأوربيون ، فإن صلاتهم الاقتصادية والسياسية تدعوهم لذلك ،  
ولكنهم لم يميروه أقل اهتمام ، حتى إن لغة الاسبرنتو العالمية التي وضعها (زمنهوف) ،  
وحصر أجروميتها في ست عشرة قاعدة فقط ، وأدخل إليها جميع المحسنات  
اللغوية ، قاصدا أن تكون لغة العالم المتمدن كله ، قد ظلت تعالج اللغات القومية  
خمسین سنة فلم يرفع بها أحد رأسا ، رغما عما ينتظر منها من التقريب بين  
الشعوب ، ومن تحقيق الوحدة المرجوة بينهم .

فالنبي يتوقع أن يكون في الشعوب الاسلامية غير العربية هو أن تنتشر  
بينهم بعض اللغات الأجنبية ، مما تدعوهم ضرورة العيش لتعلمها وحذقها كما هو  
جار في كل بلد من بلادهم ، أما ما لا تدعوهم ضرورة العيش اليه ولكن تعطفهم  
الماطفة الدينية عليه ، كاللغة العربية ، فلا يحتمل أن ينتشر بينهم إلا بنسبة ضئيلة  
جدا لا يحسب لها حساب .

### أندوسيا تطلب ترجمتها للقراءة :

تديلا على كل ما ذكرناه في الفصل المتقدم ننقل للقراء ما رأيناه منشورا  
في محايات جريدة البلاغ المصرية الصادرة في ( ٢٦ ابريل سنة ١٩٣٦ ) وهو هذا  
بحروفه :

« في الوثائق التي نشرها (البلاغ) ونشرتها الصحف في الأسبوع الماضي  
عن مشروع ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الغربية ، جاء ذكر الترجمات التي  
أذيت بهذه اللغات ، وما جاء في بعضها من الخروج والتحريف وضرورة وضع ترجمة  
دقيقة صحيحة تشرف عليها جهة من جهات الاختصاص ، قطعا لمثل هذه الترجمات  
المغلوطه ، وعملا على إذاعة المعاني السامية التي تضمنها القرآن الكريم

بين أهل اللغات الغير العربية من أهل الديانات الأخرى ، وبين المسلمين الذين لا يعرفون هذه اللغة .

« فنقول اليوم : إن صاحب الفضيلة السيد محمد نصيف العالم المسكي تلقى في الشهر الماضي كتابا من جزائر جاوا ( وهي أكبر جزر أندونيسيا ) يتضمن حاجة المسلمين فيه الى مثل هذا العمل وتفكيرهم فيه .

« و خلاصة هذه الرسالة أن التعليم الشائع بين سكان تلك البلاد يقوم باللغات الأفرنجية ، وفي مدارس لا تعلم اللغة العربية . ولذلك يقرأ المسلمون وأولادهم في تلك المدارس القرآن الكريم في تراجم قام بها مترجمون غير موثوق بأمانتهم ، بل إن بعض هذه التراجم كان لها أثر في إفساد عقائدكم ، لأن بعض القائمين بها كانوا من المبشرين أو من أتباع مذهب الأحمديّة في الهند . والذين يقرءون القرآن الكريم في هذه التراجم لا يعرفون ذلك ، ويمتقدون أن ما يقرءون هو القرآن الصحيح .

« ثم يقول صاحب الرسالة : إنه بعد أن رأى هذا التحريف في هذه الكتب وتيقن خطرها على عقائد المتعلمين في المدارس الأفرنجية من أهل تلك البلاد ، نهامهم عن القراءة فيها ، فطلب منه بمضهم أن يتوجه الى أهل الرأي من المسلمين ، طالباً منهم العمل على نشر ترجمة للقرآن الكريم يقرأها علماء المسلمين ، مع وضع تفسيرات وتعليقات وبيان ما في بعض الآيات من الوجوه والمعاني التي تفهم من الآيات ، لأن الترجمة الحرفية بدون تفسير لا تقوم بتفهمهم القرآن وأحكامه » ثم قال : إن وجود هذه الترجمة ضروري لبقاء المتعلمين في المدارس الأفرنجية من أبناء المسلمين على حب دينهم وفهمه ، بل فيه إنقاذ لعقائدهم بوجود ترجمة يقوم بها مترجمون موثوق بهم يستفنون بها عن التراجم التي سبق وضعها ، ولأن نشر هذه الترجمة بين غير المسلمين يفيد في البيان عن الاسلام وآداب القرآن وأحكامه ، وفي إبلاغهم الدعوة المحمدية بلغتهم .

\*\*\*

« ونقول بمد ذلك : إن هذه الحاجة التي يشعر بها المسلمون في جزائر جاوا

وغيرها من البلاد الاسلامية الغير العربية دفعت فريقا من علماء المسلمين الهند الذين يتقنون اللغة الانجليزية الى ترجمة القرآن الكريم مع وضع تفسيرات وتعليقات على هذه الترجمة . وقد انتهوا من ترجمة ثمانية عشر جزءا ، وقد أشرنا الى ذلك من نحو ثلاثة شهور .

« وقد علمنا أنه بعد الانتهاء من ترجمة الأجزاء الباقية ستكون لجنة للإشراف على طبعها وإذاعتها .

« أما كاتب هذه الرسالة التي لخصناها قبلا فهو العلامة السيد عبد الله بن صدقة دحلان في جاوا » انتهى ما استعمرناه من البلاغ .

نقول : وقد أورد البلاغ في العدد الصادر منه في ٢ مايو أن جمعية تكونت في حيدرآباد الدكن ، وأتى على أسماء العلماء ورجال الدولة الذين يقومون به .

هذا ما حدث من أهل أندوسيا الذين يقول عنهم الأستاذ الشيخ محمد سليمان إنهم أسسوا خمسمائة مدرسة لتعليم أبنائهم اللغة العربية . والذين يقومون بترجمة القرآن هم علماء الهند السنيون ، وهم مشهورون بالورع ، وباحترام التقاليد الاسلامية .

الذي يؤثر من ورع علماء الهند أنهم منذ الاحتلال الانجليزي الى النصف الأول من القرن التاسع عشر كانوا يفتون بعدم جواز تعلم اللغة الانجليزية ، ودخول المدارس التي تؤسسها الدولة المحتلة ، حتى إنه لما رأى المصلح الهندي الكبير احمد خان أن إضراب المسلمين عن دخول تلك المدارس جعلهم دون الطوائف الوثنية ثقافة ، وأبعدهم بسبب جهلهم عن تولى الوظائف الحكومية ، ومشاطرة الهندوس حظهم منها ، أهاب بيني قومه لتأسيس جامعة إسلامية ، فأفتى العلماء الهنديون إذ ذاك بأنه زائغ العقيدة لأرادته التعليم فيها باللغة الانجليزية . فقبض الناس أيديهم عن مساعدته ، وكاد يفشل في مساعيه ، لولا أن بمض راجات الهنود وأسريائهم أمدوه بالمساعدات المالية سرا ، فتمكن من إنشاء جامعة عليكرة التي كانت مصدرا لنشر الثقافة بين المسلمين هنالك ، فاستطاعوا

بفضلها أن يحصلوا على بعض الوظائف الحكومية . واستنارت أفكار الناس هنا لك ، فأدركوا أن من الدين مجارة تاموس الارتقاء ، وأن سماحة الاسلام لانضيق ساحتها دون طالب كمال ، وأن الأعمال بالنيات ، لا بالظواهر ولا باللغات .

### اليابانيون وطبع القرآن الكريم :

يقول الأستاذ الشيخ محمد سليمان : « واليابان قد فرغت قريبا من طبع مصحفنا بلغته العربية لتشره في أصقاع الشرق الأقصى » .

نقول : الذي يتبادر للذهن من هذه العبارة أن اليابانيين الذين لا يعرفون حرفا من اللغة العربية ، قاموا بنشر الكتاب الكريم بالعربية ، لنشره في بلادهم وبلاد الصين وكورية ومنشوكو وسيام الخ .

واليابانيون لو أقدموا على هذا العمل لعدوا هازلين ، وإلا فأى فائدة ترجى من نشر كتاب عربي بين قوم لا يستطيعون أن يقرأوا منه حرفا واحدا ، بله أن يفهموه ؟ فهل عهد عن أمة اليابان المعروفة بالحكمة وسداد الرأي أن تقوم بعمل يوجب عليها السخرية ، ويسجل عليها السذاجة الى هذا الحد ؟

وحقيقة المسألة أنه توجد جمعية إسلامية قوامها بمض الأتراك والفرس والهنود يعملون على نشر الاسلام في اليابان بلغة أهلها . وجلهم متنورون ويعرفون العربية ، وقد طبعوا القرآن طباقا للنسخة المطبوعة أخيرا في دار الطباعة المصرية بأمر المغفور له الملك فؤاد الأول ، ليتداولوه بينهم وبين من يعرف العربية ممن يلتحق بهم ، لا بقصد أن ينشروه بين اليابانيين الأفتاح ممن لا يعرفون العربية .

أما فيما يتعلق باليابانيين أنفسهم فقد وردت أخبار على الجرائد المصرية بأن رجالا من الذين يحذقون اللغة اليابانية قاثمون الآن بترجمة القرآن الى تلك اللغة ، وأن الحكومة شجعتهم على ذلك وأمدتهم بمال . وقد كتبنا أخيرا لزعم هذه الجمعية اليابانية نستفهم منه عن المدى الذي بلغته لجنة الترجمة في عملها العظيم الذي شرعت فيه منذ نحو عام .

## رسالة الرد

على مشروع ترجمة القرآن الكريم

وقفنا على رسالة وضعها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى الشاطر قاضي محكمة شبين الكوم الشرعية بالعنوان المتقدم يعارض بها مشروع ترجمة القرآن الكريم . وقد ضمنها بحوثا وبيانات لا ترى بدا من مناقشته فيها ، لأن بقاءها مسكونا عنها بعد وقوعها في أيدي الدهماء يؤم أن ماجاء فيها مسلم به من جميع الوجوه . وقد قدم في رسالته أربعة عشر وجها منغيا ، لفت إليها نظر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . ونحن نلخص هذه الوجوه ونناقشه فيها واحد واحدا فنقول :

أولا :

قال الأستاذ ما ملخصه : ليست اللغات التي يقرأ بها الأنجيل اليوم هي لغته الأصلية ، ولا يخفى ما في ترجماته هذه من قصور . وقد قيل إنه اجتمع لترجمته سبعون حبرا لتعميم نشره بين الأمم ، فكانت نتيجة ذلك مع تطاول الزمن أن ذهبت اللغة الأصلية والناطقون بها ، وذهب الأصل إلا بعضا منه في بعض المكاتب .

نقول :

ما ذكره الأستاذ خطأ كله ، فلا يوجد نصراني في العالم يعتقد أن الله أنزل على عيسى عليه السلام كتابا اسمه الأنجيل بلغة إلهية ، اجتمع لترجمته سبعون حبرا . ولكنهم يقولون بوجود أناجيل عديدة كتبها جماعة من كبار أتباع المسيح لنشر تاريخ حياته ، من يوم ميلاده الى يوم وفاته ، واستيعاب جميع ما فاه به من التعاليم والوصايا .

جاء في الموسوعة الصغرى للعلامة « لاروس » قوله : « الأنجيل بل الأنجيل هي الكتاب المقدس المؤلف من أربع روايات وضعها القديس متى

والقديس مرقص والقديس لوقا والقديس يوحنا ، وقد ضمنوها حياة المسيح ومذهبه « انتهى .

وقد كانت توجد أناجيل كثيرة في العالم المسيحي ضمنّت حياة المسيح وتعاليمه منها « إنجيل ميلاد مريم وطفولة المسيح » وضعه متى ، وكان منتشرًا في القرون الوسطى ، وهو موجود بالمكتبة الوطنية بباريز . و « إنجيل توما » وموجود بمكتبة فينا . و « إنجيل جاك الأصغر » و « إنجيل نيكوديم » وكان شائعًا في القرون الوسطى ، وأثر ما لم تؤثره الأناجيل الأخرى على الآداب ، من جهة الاقتباس والاستشهاد . و « إنجيل الطفولة » وهو منسوب للحواري بطرس و « إنجيل مرسيون » . و « إنجيل برنابا » الخ الخ .

المسيحيون لا يرون بأسًا من تعدد هذه الأناجيل لأنها معتبرة عندهم كتبًا وضعت لرواية حياة المسيح وتعاليمه . ولكنهم قرروا في مجملهم أن المتمد منها أربعة وقد كتبت بوحي من الله لوضعها القديسين متى ومرقص ولوقا ويوحنا .

نعم إن الأصول الأولى لهذه الأناجيل قد فقدت ، ولكن المسيحيين لا يرون في هذا ضيرًا ، كما لا نرى نحن بأسًا في ضياع النسخ الأصلية للسيرة النبوية وصحيح البخاري وجميع الكتب الإسلامية .

هذه حقيقة موقف النصارى من أناجيلهم ، وتبجيلها يسقط بناء البحث الأول الذي اتخذته الأستاذ مؤلف الرسالة معولا لهدم مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم . فلننظر في الوجه الثاني :

ثانياً :

قال الأستاذ القاضي ما موجه : « إذا جاز للمصريين أن يترجموا معاني القرآن فانه يجوز ذلك أيضا للهنود والمراقبيين والحجازيين وغيرهم . أفلا تكون في الأسواق الأوربية جملة تراجم متخالفة للقرآن . وحينئذ يقال مثلا إن الترجمة الهندية خير من الترجمة المصرية أو العكس . وإذا وقع ذلك حصلت

الطمون في التراجم والقرآن . وتكون حالة التراجم كحالة الأناجيل ، ولا يمكن حمل الناس على أصحها كما لم يمكن حملهم على إنجيل برنابا الذي يقال إنه أصح الأناجيل .

نقول :

هب أيها الأستاذ أن الشعوب الاسلامية تتنافس في ترجمة القرآن ، وهذا بعيد يقرب من المحال ، ولكننا نسلم به جدلا . فاذا حصل فلن يكون بينها خلاف ، لأن الترجمة المصرية مثلا ستمتد واحداً من المعاني التي تحتلها بعض الآيات ، وتشير الى بقية الاحتمالات في الهامش ، فاذا اعتمدت الترجمة الحجازية معنى آخر فهي مضطرة إلى ذكر بقية الاحتمالات في الهامش أيضا ، فيكون المعنيان المختاران مائلين في كل نسخة ، أحدهما في الهامش والآخر في الصلب ، ويكون ذلك في نظر الأجانب موضع إعجاب في التدقيق وتحرى الصواب .

يقول الأستاذ : إذا حدث ذلك حصلت الطمون في التراجم والقرآن ، وتكون حالة التراجم كحالة الأناجيل ولا يمكن حمل الناس على أصحها كما لم يمكن حملهم على إنجيل برنابا .

نقول : إن الأستاذ جار على ما فهمه من أن الأناجيل تراجم للإنجيل الالهى الأول ، وأنه مطمون في صحتها عند الأوربيين . وقد بيناه في الفصل المتقدم أنه لا وجود لهذه المسألة عند النصاري ، وليس فيهم من يقول إن إنجيل برنابا أصح ترجمة للإنجيل ، فليس إنجيل برنابا بترجمة ولكنه سيرة للمسيح كسائر الأناجيل وضعها برنابا تلميذ القديس بولس المتوفى سنة ٦٧ ميلادية . ولم يقل أحد من النصاري إن إنجيله أصح الأناجيل ، بل قالها المسلمون بمعنى أن ما ذكره موافق للقرآن الكريم .

هذه حال الوجه الثاني الذي يستخدمه الأستاذ في هدم المشروع الجليل ،

فلننظر في الوجه الثالث :

ثالثا :

قال الأستاذ ماختصره : « إذا ترجم معنى القرآن الى الإنجليزية ثم ترجمت هذه الترجمة الى الفرنسية ، فما رأى إذا تغير المعنى الأصلي في الترجمة الثانية ؟ وما ذا يكون الحال إذا تنازع قارئان مسلمان أحدهما معتمد على الترجمة الإنجليزية والآخر على الفرنسية ، فادعى أحدهما أن هذا المعنى أو ذلك غير موجود في القرآن ، وادعى الآخر العكس ، أفلا يعتبر واحد منهما كافرا لا محالة ؟ كذلك يقال إذا كان في الترجمة الإنجليزية خطأ وأعيد طبعها وتكرر ذلك الخطأ . »

نقول :

الأستاذ يفترض أن الرجلين مسلمان ، فاذا كان كذلك فلا يوجد مسلم على سطح الأرض يتعصب لترجمة مأخوذة من ترجمة أخرى ، لم تعتمد على جهة رسمية ، وبخاصة لو نازعه منازع في صحة ما هو بين يديه من الترجمة المأخوذة عن ترجمة أخرى لاعتن الأصل العربي مباشرة . فهل يصح أن يفترض الحال لتأييد الآراء ؟ ولو سلمنا بأن مغفلا أو ممتوها ارتضى لنفسه مثل هذا الشطط أفتعطل دعوة الاسلام العالمية لمثل هذه العلة التافهة ؟

وإذا ساغت أمثال هذه الافتراضات ، فلم لا نفترض أن كاتبنا للقرآن أخطأ في كتابة كلمات غيرت منه معني عدة آيات ، ولا تخفى سداجة النساخ ، فوقع هذا المصحف في يد مسلم فقرأ هذه الآيات خطأ ، فلما أراد سامع له أن يردّه الى الصواب أصر على ما في مصحفه من هذه الأخطاء واعتبر كافرا . أفنقرر لهذا السبب التافه عدم جواز كتابة القرآن بأيدي المحترفين بهذه الصناعة وغير المحترفين بها أيضا ؟

رابعا :

قال الأستاذ في رسالته ماحصله في استشكله الرابع : « إذا أجزى نقل القرآن الى اللغة الإنجليزية ، أجزى نقله الى اللغة السودانية ، فهل يضمن أن لا يقرأ السوداني بعض القرآن بلفظ عربي وبمعناه بلغته السودانية ؟ وفي هذا

تبديل وتعديل لألفاظ القرآن ، ويتبع ذلك اختلاف في معانيها . وقد يتفق لبعض التمددين بمصر مثل ذلك ، فيقرءون منه ألقاظا بالعربية وأخرى بالانجليزية . فاذا اعترض عليهم احتجوا بأن المشيخة تبيح قراءته باللغتين . فهل لجنة الترجمة أو مشيخة الأزهر تستطيع أن تضع للناس قواعد يلزمون بالسير عليها ؟  
نقول :

إن هذا وجه استقطره الأستاذ من مادة المعارضة استقطارا متكافا ، ولو صح أن يبني على مثله حكم لامتنع الناس من عمل ضروريات كثيرة ، لأنه يمكن أن يقال إن إباحة بيع المصاحف في المكتبات يفضي الى وقوع نسخ منه في أيدي بعض الكفرة فيضعونه في بؤر النجاسات ، وعليه فيجب تحريم بيع المصاحف في المكتبات ، إلا لمن بيده شهادة من جهة الاختصاص بأنه مسلم حسن الاسلام . ويمكن أن يقال : إن ماغصت به كتب الحنفية من جواز الصلاة بالقرآن مترجما لمن لا يحسن العربية يمكن أن يفضي الى أن بعض الذين يحسنونها يصلون بالتراجم الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية وغيرها ، وعليه فيجب على الحكومات الاسلامية محو هذا الفصل من كتب الحنفية وعدم السماح بدخول تراجم القرآن الأجنبية .

ويمكن أن يقال : قد تقع بعض الكتب التي ذكرت الفرق الاسلامية في أيدي من لا يفهم الردود عليها فيصبح بسببها إباحيا أو مشبها أو دهريا فيكفر ، فيجب إبادة تلك الكتب وعدم السماح بطبع أمثالها .  
ويمكن أن يقال غير هذا مما لو تابعنا الخيال فيه وجربنا عليه واستطعنا تنفيذه لأصبح الناس في ظلام حالك من الجهل ، وكانوا هم والسوائم في حضيض واحد من العماية .

ولكننا نطبع القرآن بالعربية ، وننشط الناس على اقتنائه ، غير مباليين أن يكون فيهم كافر أو زنديق يفعل به ما بدا له ، فإن حسابه عند ربه ، وهو المسئول وحده عما جنت يده .

وننشر كتب الحنفية والكتب التي تذكر الفرق والنحل ، ونعمل على

ترويجها لهداية الناس ، غير مكترئين أن تقم في يد غبي أو مغفل فيصعباً إلى  
بعض تلك المذاهب ، فتبعته على نفسه .

وكذلك تترجم معانى القرآن للذين لا يعرفون العربية غير آبهين أن يخاطب  
بين الكتاب المنزل والترجم طائش متهوس ، فان طأره في عنقه .

فمن الذى يستطيع أن يلزم الناس بأدب لم يكتب إلا للأكرمين من خلق  
الله ، وكيف يعقل أن تمتنع الأمم عن القيام بالواجبات الثقافية خوفاً من تخليط  
الحق والطيب من أبنائها ؟

خامساً :

اليك الآن مجمل ما قاله الأستاذ في الوجه الخامس ، قال : « إن المفسرين  
ما زالوا قاصرين مقصرين في معرفة معانى القرآن ، فانه لا تنقضى عجائبه ولا يدرك  
غوره . وقد يكون لواحد رأى في آية ولغيره رأى آخر فيها ولسكليهما وجه  
صحيح وحجة . فعلى أى معنى تختار اللجنة واحداً من هذه المعانى وبأى قانون  
ترجحه على غيره ؟

« وإذا رجحنا رأياً وترجمناه ثم ظهر لنا أن رأياً آخر أصح منه أفنغير الترجمة  
فيقول الناس إننا نغير في قرءاننا ، أم نترك الخطأ على حاله ؟

« مثال ذلك : قال الله تعالى : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » ،  
فسر بعضهم الزوجين بالصنفين . ولكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة  
فيها ذكر وأنثى . فاذا ترجم القرآن بالمعنى الأول ، ألا يكون هذا المعنى قد أضاع  
علينا هذه المعجزة ؟

« وقال تعالى في سورة يوسف : « لولا أن رأى برهان ربه » ، فسرهما  
بعض المفسرين بأن المراد بالرب هنا الله . فاذا ترجم هذا المعنى ثم ظهر أن المراد  
بالرب هو سيد البيت أفنبتى الخطأ أم نغيره ؟

« وقال تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد  
ميت — الآية » ، فاذا ترجم تثير بتسوق كما فسره بعض المفسرين ضاع المعنى

البديع الذى يفهم من لفظ تثير ، لأن الاثارة هي التهييج الحسى والمعنوي . وهو مبدأ عملية التبخير وتكوين الأمطار . وفرق بين معنى قسوق سحابا ، الى بلد ميت وبين معنى فتثير ما يؤول إلى سحاب فسقناه إلى بلد ميت . هذا المعنى لم يظهر إلا حديثاً وهو إحدى معجزات القرآن .

« وقال تعالى : « وفرعون ذى الأوتاد » فسر ذى الأوتاد بكثرة الجنود . أو بأنها أوتاد أربعة كان فرعون يعذب بها الناس . فاذا ترجم هذا المعنى ضاع المعنى الجليل الذى يدلنا عليه التاريخ ، وهو أن الأوتاد هي هذه الأهرامات لأنها تشبه الجبال وقد عبر الله عن الجبال بالأوتاد فقال : « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً » ، وكنا معرضى القرآن لتكذيب المؤرخين لأنه لم يثبت أن فرعون كان أكثر الملوك جنوداً حتى يوصف بهذا الوصف دونهم ، ولا أنه كان يعذب الناس بأوتاد .

« وقال تعالى : « والأرض بمد ذلك دحاها » فاذا ترجم دحاها بمعنى بسطها ضاع المعنى الذى يؤخذ من اللحو وهو التكوير .  
« وكذلك إذا ترجم : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » بالمعنى الذى يذكره بعض المفسرين ذهب المعنى الذى يفهم من الآية وهو كروية الأرض . وبذلك تضيع معجزة من معجزات القرآن .

« وقال تعالى : « حتى توارت بالحجاب » فسرت بتوارى الشمس خلف الحجاب ، وبأن سليمان عليه السلام عاقب الخيل التى شغلته عن الصلاة بتقطيع أيديها وأعناقها . فاذا ظهر لنا أن المعنى الصحيح هو أنه لما عرضت عليه الخيل أعجبه وكانت سببا فى شكر ربه . فلما اختفت عنه وراء الحجاب أمر بردها ليلاطفها ، ويمسح بيده على أعناقها وسوقها ، قلنا إذا ظهر لنا أن هذا المعنى هو الحق أفنغير الترجمة الأولى أو نعمل ترجمة غيرها فنكون قد قلنا النصراني فى تعدد الأناجيل ؟ »

نقول :

نحن نعتقد أن القرآن كتاب لا تنقضى عجائبه ، ولا يدرك غوره ، كما

يعتقد الأستاذ ، ولكننا لا نذهب بالغلو في هذا المعنى إلى درجة التعميل ، واعتباره طلسمًا تفضل العقول في فهمه ، ولا تصل منه إلى حقيقة ثابتة ، فإن هذا الفهم يصطدم بالقرآن نفسه ، فقد وصفه في غير آية بأنه آيات بينات ، وبأنه منزل ليتدبر الناس هذه الآيات ، حتى قال : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » قال المفسرون أي سهلناه للاتماظ . وكرر هذه الآية أربع مرات في سورة واحدة . فلا يجوز أن ندعى أن ما يسره الله للتذكر والاتماظ معمم لا يمكن فككه ، وطلسم لا يستطيع حله .

نعم إن المفسرين بعد القرنين الأولين تذرعوا بالفنون الآلية التي وضعوها لضبط قواعد اللغة ، من نحو وبيان وبديع ومعان ، إلى زيادة التعمق في تمحيص المدلولات القرآنية تحت ضوء هذه العلوم ، فتعددت مدلولات بعض الآيات لهذا السبب ، وأكثر هذا التعدد آلى محض ، ولكن المعاني لم تخرج قط عن دائرة الفهم ، فلم يدع أحد أن القرآن لم يفهم في عصر من المصور ، اللهم إلا الآيات المتشابهة ، وقد أمر المسلمون أن يحاولوا تأويلها لا فهم معناها ، خشية عليهم من شر الاختلاف فيها والذهاب في أمرها كل مذهب . وكيف يمكن أن يقال إن محكمات القرآن لم تفهم على حقيقتها وقد انبني عليها الدين كله عقائده وعباداته ومعاملاته ؟

فاللجنة التي استدعى لترجمة القرآن ستنظر في المعاني التي قررها أئمة المفسرين للآيات ، فإن آنسوا في بعضها خلافا بينهم عمدوا إلى اختيار ما رضى به جمهورهم مشيرين في الهامش إلى بقية الاحتمالات . فتكون الترجمة قد استوعبت جميع الآراء ، ولا يعقل أن معنى الآيات يخرج عنها بوجه من الوجوه . فلا محل والحالة هذه لقول الأستاذ : « وإذا رجحنا رأيا وترجمناه ثم ظهر لنا أن رأيا آخر أصح منه أفنغير الترجمة ؟ » . نعم لا محل لهذا الاحتمال ، وإلا دب الشك إلى المسلمين في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ، فإن شبهة الأستاذ ترد على ما فهمه الأئمة المجتهدون منه أيضا . وهذا خطب جلال لم يجزؤ على مثله أحد في الاسلام وما دفع الأستاذ إليها إلا هواه في معاكسة المشروع .

ولكن يظهر مما أورده الأستاذ من الآيات أنه لا يريد بما يقول معنى آيات العقائد والعبادات والمعاملات — وإن كان لم يستثن فيما قال — وإنما أراد الآيات الكونية والتاريخية والمتشابهات . وهذه أيضا لا تضرها الترجمة بوجه من الوجوه ، فإن اللجنة ستترجم معانيها على ما يحتمله اللفظ العربي ولا تتعرض لشرحها ، فمثل قوله تعالى : « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » ، مثل هذه الآية تتولاها لجنة التفسير فتعطي معناها الصحيح للجنة الترجمة لترجمه ، دون أن تتعرض لما تشير اليه الألفاظ من الدلالات العلمية ، ولكنها تجتهد في ترجمة كلمة تثير مثلا بجميع خصائصها اللغوية ، تاركة دلالاتها العلمية لمقول القارئ ، تفاديا من الوقوع في مثل الخطأ الكبير الذي وقع فيه الأستاذ صاحب الرسالة في هذا الوطن نفسه ، كما سيجيء بيانه ، وحفظاً للقرآن الكريم مما عسى أن يرجع عنه العلم من مقرراته الحالية ، وهو دائم التغير كما هو مشاهد من لاطلاع على تاريخه .

فنحن نترك كليات القراءان على ما هي عليه من الأطلاق لناخذ منها المعقول ما يتاح لها فهمه تحت ضوء العلم في جميع المصور . فاذا رجع العلم عن شيء من مقرراته إلى مقررات أخرى فلا نكون قد أسأنا الى كلام الله بصرفه على معان معينة قابلة للتحويل ، تبعا للمكتشفات الطارئة . وهنا يسوغ لنا أن نقول : إذا جربنا على مذهب الأستاذ من الشرح ورجع العلم عن رأيه الأول أنعيد إذ ذاك ترجمة القراءان أم نترك الترجمة على خطئها ؟ ولكن الترجمة على الأسلوب الذي نذكره لا تجعل محلا لمثل هذا الندم بعد التورط في الخطأ .

### نظرة في الآيات التي أوردها الأستاذ :

أورد الأستاذ سبع آيات استشكالا على مشروع ترجمة معاني القراءان ، وقد أراد الحق سبحانه وتعالى أن يخطيء فيها جميعا ، فكان خطؤه هذا دليلا

محسوسا علي صحة ماذهب اليه من ترك كلييات القرآن مطلقة ، وعدم تقييدها بأمر محدود . ونحن نسردها واحدة واحدة دالين علي وجوه الأخطاء فيها :

### الآية الأولى :

أورد الأستاذ قوله تعالى : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » ثم قال : « فسر بعضهم الزوجين بالصنفين ، ولكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثي ، فاذا ترجم القرآن بالمعنى الأول ألا يكون هذا المعنى قد أضع علينا هذه المعجزة ؟ » .

نقول :

قال المفسرون : زوجين هنا بمعنى صنفين ، أي حلو وحامض أو كبير وصغير أو أبيض وأسود الخ . وهذا التفسير أوجه وأصح من تفسير الأستاذ ، لأن الذكورة والأنوثة هما من أعضاء الأزهار لا الثمار . فقد يكون هذان العضوان في زهرة واحدة ، وقد يكونان في زهرتين مختلفتين من شجرة واحدة ، وقد يكونان في زهور شجرتين مستقلتين . أما الثمار فليس فيها ذكر ولا أنثي على الإطلاق .

وقد كان هذا الازدواج النباتي معروفا من أقدم العهود ، حتى إن عرب الجاهلية كانوا يعرفونه ، فكانوا يلقحون إناث النخل بالطلع المستخرج من ذكورها ، قرأى النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه يلقحون نخلهم فقال لهم : لو تركتموه لأثمر ، فتركوه فلم يثمر ، فشكوا اليه ، فأمرهم أن يعودوا لما كانوا عليه ، قائلهم : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

والذي يدل دلالة قاطعة على أن المراد بالزوجين الصنفان ، لا الذكر والأنثي ، قوله تعالى عند ذكر الجنة اللتين وعد بهما المتقون : « فيهما من كل فاكهة زوجان » أي من كل نوع من الفاكهة صنفان ، ولا يمكن صرفه بحال من الأحوال الى المعنى الذي يريده الأستاذ ، لأن المقام مقام تشويق للذات

الأخروية ، لامقام استدلال على وجود القدرة الالهية ، بلغت الأنظار الى الحكمة التكوينية .

ولا يعقل أن الله تعالى يمزوماهو خاص بالأزهار الى الثمار ، لأن ذلك فضلا عن مناقضته للبلاغة التعبيرية ، يتنافى والحقائق العلمية .

الآية الثانية :

قال الأستاذ : « قال الله تعالى : « لولا أن رأى برهان ربه » فسرهما بعض المفسرين بأن المراد بالرب هنا الله . فاذا ترجم هذا المعنى وظهر أن المراد بالرب هو سيد البيت أفنبقى الخطأ أم نغيره ؟ »

نقول :

كيف يعقل أن يتضح في يوم من الأيام أن المراد من « برهان ربه » هنا برهان سيد البيت الذي اشتراه ، وليس في الآية مايدع محلا لأقل احتمال من هذا القبيل ؟ قال الله تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » فأى برهان يملك أمير وثنى ، يستطيع أن يدلى به لنبي ، في مزدلق خطير من مزدلقات الطبيعة البشرية ، ليقيمه على عصمة لايملكها لنفسه ؟

واذا كان البرهان المذكور هو برهان سيد البيت لابرهان الله ، فكيف يسوغ أن ينسب الله أثره على يوسف لنفسه فيقول : « لنصرف عنه السوء والفحشاء » ؟

ومن الدلائل القاطعة على أن المراد من لفظ الرب الله جل شأنه ، أنهأضاف لفظ برهان الى نفسه في غير آية من القرآن ، فقال : « يأيتها الناس قد جاءكم برهان من ربكم » وقال : « فذاتك برهانان من ربك » ولم يضيف هذه الكلمة لغيره في القرآن كله .

ومما يؤيد تفسيرنا هذا ما قاله الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام :  
« وما أرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور  
رحيم »

هذه محاولات لا تجدى نفعا ، ولا يقام لها وزن ، ولا تفيد في عرقله مشروع  
الترجمة وزن خردلة ، ولكنها تم عن ضعف فاضح لأدلة المنع يسوء وقمه عند  
المدلين بها وعند أشياعهم .

### الآية الثالثة :

قال الأستاذ القاضي : « وقال تعالى : « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا  
فسقناه إلى بلد ميت » فإذا ترجم تثير بتسوق كما فسره بعض المفسرين ضاع  
المعنى البديع الذي يفهم من لفظ تثير وهو عملية التبخير وتكوين الأمطار ، وهذا  
المعنى لم يظهر إلا حديثا وهو إحدى معجزات القرآن » .

نقول :

المعروف في علم الطبيعة أن الذي يحدث التبخير في المياه والرطوبات عاملان:  
الحرارة المركزية للأرض ، والحرارة الجوية للشمس . أما الرياح فلا تأثير لها في  
التبخير ، ولم يقل بذلك أحد على سطح الأرض . فإذا فسرت عبارة تثير سحابا في  
الآية الشريفة بعبارة تحدث تبخيرا فتؤلف سحابا ، كان هذا المعنى موجبا للسخرية  
عند جميع الذين قرءوا على الكيمياء والطبيعة والنيورولوجيا ( علم الظواهر  
الجوية ) من أهل العصر الحاضر . وهل من شيء أسوأ وقعا في النفس من نسبة  
المعلولات إلى غير عللها ؟ وهل تتصور جريمة أكبر تبعة من نسبة هذه الجهالات  
إلى الله نفسه ، بتأويل مالا يقبل التأويل من كلامه ؟

هذا وقد كان العلماء يعرفون أن الأبخرة الأرضية هي المؤلفة للسحب قبل  
مبعث عيسى عليه السلام بنحو خمسمائة عام ، وقد نصت عليها كتب الطبيعيات  
لطاليس وديموكرت وأرسطو وغيرهم . فليست هذه المسألة بشجرة من ثمرات  
المكتشفات الحديثة .

## الآية الرابعة :

قال الأستاذ : « وقال تعالى : « وفرعون ذى الأوتاد » . لو فسر بكثرة الجنود ، أو بأنها أوتاد كان فرعون يعذب بها الناس ، ضاع المعنى الجليل الذى دلنا عليه التاريخ ، وهو أن الأوتاد هى هذه الأهرامات ولم يثبت أن فرعون كان أكثر الملوك جنودا الخ » .

تقول :

إن العالم كله كان يعرف أن فى مصر أهرامات بناها الفراعنة الأولون منذ نحو خمسة آلاف عام ، فليس فى التنويه بها كبير شئ حتى يوصف بأنه معنى جليل يضيع علينا بجهل المفسرين له .

لننظر الآن هل فى إطلاق لفظ الأوتاد على الأهرام شئ من الجمال المعنوي الذى يصح نسبه إلى الكلام الألهى ؟

نعم : إنه سبحانه وتعالى قال : « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا » تشبيها لها بأوتاد الخيمة ، إذ تخدم فى منعها من الميدان ، كما تخدم أوتاد الخيمة فى ذلك . ولكن أى فارق بعيد بين أصغر تل فى الأرض وبين أطول هرم من الأهرام ؟ إن ارتفاع الهرم الأكبر لا يجاوز مائة وخمسة وأربعين مترا ، وطول قاعدته لا يزيد عن ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين مترا ، فأين هو من جبل حملايا الذى يزيد ارتفاعه عن ثمانية آلاف وثمانمائة متر ويشغل شمال الهند كله ، أو جبال آندو فى أمريكا الجنوبية التى يبلغ طول قاعدتها نحو سبعة آلاف كيلو متر وارتفاعها بضعة آلاف من الأمتار ؟

لا جرم أن هذه الجبال يصدق عليها أن تسمى أوتادا للأرض ، أما الأهرام وهى لا تساوى فى طولها وعرضها أصغر تل فى الأرض ، فلا تصلح أن تسمى أوتادها ، والله يتنزه عن مثل هذه المبالغات الكلامية .

ثم إن هذه الأهرام جعلت قبورا للذين بنوها من الفراعين ، ولم يكن فرعون موسى من الذين شيدها ، بل كان بينه وبين أحدثها نحو ثلاثة آلاف عام ، فلا تصح نسبتها إليه وهو لا يملك حتى ولا أن يدفن فيها .

أما التفسير الصحيح لهذه الآية والذي تشير اليه بقيتها فهو ما قاله المفسرون من أن « ذى الأوتاد » كناية عن كثرة جنوده . قال الله تعالى : « وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد » ، فذكر الطغيان في البلاد هنا وإكثار الفساد فيها يدل دلالة صريحة على أن المراد بذي الأوتاد الكناية عن كثرة الجنود .

يقول الأستاذ : « إن فرعون لم يكن أكثر الملوك جنودا » . نقول : بلى ثبت ذلك . فان الفراعنة في أيام دولتهم كانت لهم الزعامة الحربية في الأرض . وهذا مما لا يختلف فيه اثنان .

على أن الآية تدل على كثرة جنوده فحسب ، ولا تدل على أنه كان أكثر الملوك جنودا ، فلا وجه لاعتراض الأستاذ من هذه الناحية أيضا .

#### الآيتان الخامسة والسادسة :

قال الأستاذ : « وكذلك إذا ترجم : « والأرض بعد ذلك دحاها » بمعنى بسطها ضاع المعنى الذي يؤخذ من الدحو وهو التكوير » .  
قال : « وكذلك إذا ترجم : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » بالمعنى الذي يذكره بعض المفسرين ذهب المعنى الذي يفهم من الآية وهو كروية الأرض وبذلك تضيع معجزة من معجزات القرآن » .

نقول :

لم يرد في اللغة قط أن الدحو بمعنى التكوير ، وإنما هو بمعنى البسط . وأما التكوير فهو اللف ، فيقال كور العمامة أي لفيها . ويقال كور المتاع أي جمعه وشده ولفه على جهة الاستدارة ، وعبارة الأساس : وضع بعضه على بعض . والذي قاله المفسرون : « والأرض بعد ذلك دحاها » أي بسطها ومهداها للسكنى ، ويدل على صحة هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك : « أخرج منها ماءها ومرعاها » ، والمقام مقام تذكير بنعم الله على الانسان وبتهيئته الأرض له ، لا مقام الدلالة على شكل الأرض .

وقال المفسرون في تفسير : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل »  
أى يفتشى كل واحد منها الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس باللباس ، أو يغيبه به  
كما ينيب اللقوف باللقافة ، أو يجماه كارا عليه كرورا متتابعات تابع أكوار العمامة  
( البيضاوى ) .

هذا هو زبدة ما قاله المفسرون ، وبدل عليه قوله تعالى : « يولج الليل في  
النهار ويولج النهار في الليل » ، فأبلاجه أحدهما في الآخر هو إغشاؤه أحدهما  
الآخر . وقال تعالى : « يفتشى الليل النهار » أى يغطيه به . ولا يؤخذ منه من  
طريق قريب أو بعيد أنه يشير الى كروية الأرض . فاستقطار الكلام على هذا  
الوجه يخرجنا عن حقيقته ، ويجعله قابلا لجميع الاحتمالات بدون أن يمت اليها  
بسبب . ولا ندرى نحن ما الوجب لهذا الجهد المضنى كله ؟ الأثبات معجزة علمية  
للمقرآن من ناحية كونه نبيه إلى كروية الأرض قبل أن يفتن إلى ذلك أحد ؟

فليريحوا أنفسهم ، فان تاريخ المقررات العلمية قد أثبت أن سقراط وأفلاطون  
وأرسطو وغيرهم قد قالوا بكروية الأرض قبل ظهور المسيح بأكثر من أربعمئة  
سنة ، بل نقل عن كبير الفلاسفة فيثاغورس الذى كان عائشا قبل المسيح بنحو  
خمسة قرون أنه لم يقل بكرويتها فحسب ، ولكن بدورانها أيضا حول الشمس .  
وخالفه في ذلك الفلكي اليوناني الاسكندري الكبير ( بطليموس ) ، الذى كان عائشا  
قبل المسيح بقرن ونصف قرن ، فانه مع تسليمه بكرويتها لم يسلم بدورانها حول  
الشمس . وبقى مذهبه شائما حتى نبغ الفلكي البولوني المشهور كوبرنيك الذى كان  
عائشا في القرن السادس عشر ، فقرر صحة مذهب فيثاغورس وأيده بالأدلة  
الرياضية .

### الآية السابعة :

قال الأستاذ : « قال تعالى : « حتى توارت بالحجاب » ، إذا ترجم المعنى الذى  
يقوله المفسرون من أن الشمس غابت في الحجاب ، وبأن سليمان عليه السلام  
عاقب الخليل بتقطيع أيديها وأعناقها لأنها ألفتها عن الصلاة ، ثم ظهر لنا المعنى  
الصحيح الذى لا يقبل العقل سواه ، وهو أنه لما عرضت عليه الخليل أعجبته

وأحبها لأنها كانت سببا في شكره ربه ، فلما اختفت عنه أمر بردها اليه ليلاطفها بالمسح بيده على أعناقها وسوقها ، إذا حدث ذلك أفغبر الترجمة أم فعمل غيرها فنكون قد قلدنا النصاري في تعدد الأناجيل ؟ » .  
تقول :

إننا نأتى بنص الآيات أولا ثم نحكم الأستاذ اليها . قال الله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم ؟ ( لأنهم ملائكة هبطوا عليه من السقف ) ، قالوا لا نخف ، خصمان بنى بمضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . إن هذا أخى له تسع وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة فقال أ كفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعمتك الى نماجه ، وإن كثيرا من الخطاء ليعنى بعضهم على بعض ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب ( أى وتاب ) فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

ثم قال تعالى : « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ( أى رجاع الى الله بالتوبة ) ، إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ، ( العشى قبيل المغرب ) فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ، ( أى آثرت حب المال على ذكر ربي حتى احتجبت الشمس وفاتت الصلاة ) ، ردوها على ، فطفق مسحا بالسوق والأعناق »

مجرد النظر فى توالى هذه الآيات ، يدل على أن الله يذكر صفات الأنبياء فى سرعة الرجوع عما ييدر منهم من بعض المنسات ، والمعصمة المطلقة لله ، فذكر أولا أن داود كان يريد أن يضيف امرأة أحد أتباعه الى نسائه التسع والتسعين ، فطلب الى زوجها أن يتنازل له عنها ، فأرسل الله اليه ملائكة يختصمون أمامه فى مسألة من جنس ماهو واقع فيه . فكان حكمه : « لقد ظلمك بسؤال نعمتك الى نماجه » ، وعند نطقه بهذا الحكم أدرك أن الله قد فتنه بما طلبه من أحد رعاياه ، « فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب » أى وتاب .

ثم نرى هذه القصة بقصة ابنه سليمان بعد أن وصفه بأنه أواب أى تواب ، وتناخص قصته فى أنه عرضت عليه خيل جباد قبيل الغروب فأعجب بها حتى شغلته عن الصلاة فاستمادها اليه . وقد اختلف المفسرون فى مسح سوقها وأعناقها ، فقال بعضهم : أى أخذ يضرب سوقها وأعناقها بالسيف . وقال بعضهم : بل أخذ يمسح هذه الأعضاء بيده ملاطفة لها .

فالذى يتبادر للذهن من أول نظرة أن تأويل الأستاذ القاضى غير صحيح ، فقد بدأ الله الكلام فيه بأن سليمان كان أوابا أى توابا من ذنوبه . ثم أخذ يحكى ما حدث منه دليلا على أنه كان متصفا بهذه الفضيلة . فذكر أنه قد عرضت عليه جباد صافنات فأخذ يتأملها ، ثم لما تبين له أنها ألهته عن العبادة قال : «إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربه حتى توارت بالحجاب » أى إنى قد آثرت حب المال على الصلاة حتى غابت الشمس ، فأمر بردها اليه وأخذ يضربها بسيفه احتقارا لشأنها فى جنب الصلاة .

هذا التفسير لا يمكن بحال من الأحوال أن يعدل عنه ، لأن نص الآية يحول دون غيره . فليطمئن الأستاذ بالافن يتضح فى يوم من الأيام أن تأويله مما يمكن قبوله مما يحل له من الأسباب .

### المعجزات العلمية للقرآن الكريم :

إننا مع اعتقادنا الجازم بأن القرآن حافل بالمعجزات العلمية ، ورغمنا عن أننا سبقنا جميع المتكلمين فى الاسلام فأثبتنا عددا عظيما منها فى عشرات من المقالات نشرناها ، إلا أننا لانجوز لأنفسنا أن نعالجها علاجا عنيفا ، وأن نستقطر الكلام لها استقطارا ، فان ذلك يعد إخلالا بالأدب الواجب للكلام الالهى ، ويفضى الى كثرة الجدل فيه بين المثبتين والنافين ، وليس هذا من مصلحة الاسلام فى شيء .

وإن من الخطر العظيم أن يعالج الكلام فى الآيات على هذا النحو ، رجال لم يطلعوا على تاريخ المقررات العلمية ، فيحكموا بسبق القرآن الى تقرير حقائق اهتدى اليها العلماء والباحثون قبل نزول القرآن ، فيتذرع الحصوم بذلك الى الطعن فى كفاياتنا العلمية ، ويتهموننا بنقص نجد أنفسنا عاجزين عن التبرؤ منها

وقد رأى القراء أن كل ما قرره الأستاذ صاحب الرسالة من سبق القرآن الكريم إليه ثبت خلافه ، فضلا عما ذهب إليه من الآراء المناقضة للعلم الطبيعي نفسه في تعليل بعض الظواهر . فهذا ليس بكبير فحسب ، ولكنه على جانب عظيم من الأضرار بالدعوة الإسلامية ، حتى في البلاد العربية ، فإن المتعلمين متى آنسوا أن الذين يقومون على صيانة العقائد لا بصر لهم بالمقررات العلمية إلى هذا الحد ، تتداخلهم الشبهات في كفايتهم ، ويحملهم ذلك على التشكك وإساءة الظن بكل ما يجي من ناحيتهم .

ولو ترجمت أمثال هذه الهنات إلى لغة أجنبية كان أثرها بعيدا في الإبعاد عن الإسلام للسبب المتقدم عينه .

فالقرآن ثرى في ناحية الإعجاز ثروة لا يمكن تقديرها ولا على وجه التقريب ، ولكن هذه الناحية لا تتجلى إلا لأهل البصر البعيد في العلم والفلسفة ، وتاريخ تطورات العقلية الإنسانية ، وإنهم يشكون العجز ، ويمترفون بالتقصير ، ويودون لو أوتوا قوات معنوية فوق قواهم ليذكروا بمض ما قدر للناس إدراكه من هذا النور السماوى الكريم .

سادسا :

نأتى الآن على الاستشكال السادس من الأربعة عشر استشكالا التى أوردها الأستاذ صاحب الرسالة ، فإليك فخواه : « إن أغلب ( فضيلته يقول أغلب ) آيات القرآن قد اختلفت فى معناها وقد يذكرون للجمله الواحدة معانى عديدة ، فهل عمل اللجنة ترجمة جميع تلك المعانى أو واحد منها . فإن كان الأول آتهم الأوربيون المسلمين بأنهم مترددون فى فهم قرآنهم . وإن كان الثانى فرمما كان ذلك المعنى غير مراد أو يثبت العلم فى المستقبل أنه غير صحيح . »

نقول :

إننا أبدينا رأينا فى مثل هذه الشبهة فى الوجه المتقدم ، وقلنا إن تلك الخلافات فى المعانى حدثت بسبب ما طبق عليها من العلوم الآلية التى وضعت فى القرن الثانى ولكنها لم تخرج الكلام عن دائرة الفهم ، فنحيل القارى إليه .

سابعاً :

قال الأستاذ ما مؤداه : « إن النظم المعجز للقرآن جزء من ماهية القرآن فهل في إمكان اللجنة أن تترجم معنى القرآن بما فيه هذا الجزء ، أو يتركونه فتجىء الترجمة خالية منه وهو بمثابة الروح للقرآن ، والجسد بدون الروح لا فائدة فيه » .

تقول :

أما ترجمة القرآن الى لغة أجنبية بنظم معجز فهذا ما لا سبيل اليه ، وإنما المراد ترجمة معانيه فقط ، وقد أجاز الحنفية ذلك ولم يجعلوا النظم المعجز ركناً ، ولذلك قالوا تصح الصلاة به مترجماً .

أما قول الأستاذ : إن النظم المعجز هو روح القرآن ولا يقوم جسد بلا روح ، فهو عكس الواقع ، فإن روح كل كلام هو معناه ، وأما نظمه فهو الجسد . فترجمة القرآن الكريم تنشر روحه بين العالمين ، وهذا أمر لا يستهان به في هدايتهم الى الحق اليقين

وهل بناء على قاعدة الأستاذ يجب علينا أن نمتنع عن ترجمة كتب العلوم إذا كنا لا نستطيع أن نأتى في ترجمتها على عبارات تساوى براعة مؤلفيها في البلاغة ، فلا نستفيد من معانيها لهذا السبب ؟ وهل في هذا الموطن يمكن أن يقال إن بلاغة الكتاب هي روحه ولا فائدة في جسد بلا روح ؟ هذا ما لا يقول به أحد في الأرض .

ثامناً :

قال الأستاذ ما زبدته : « إن جمهور المسلمين أجمعوا على عدم جواز ترجمة القرآن . وهم حين أجمعوا على ذلك لم يقصدوا ترجمته لفظة بلفظة ، لأن ذلك محال ، ولكنهم قصدوا ترجمة معناه . فإضافة المقترح كلمة (معنى) ما هي إلا للتفادى من أن يقال هذا خروج عما أجمع على عدم جوازه المسلمون »

نقول :

ليس بصحيح ما يقوله الأستاذ من أن المسلمين أجمعوا على عدم جواز ترجمة القرآن ، وهو نفسه قد أورد مذهب الحنفية في رسالته ورد عليهم ، ونقل ردودا عليهم عن علماء آخرين ، فهل يصح مع جواز الترجمة في مذهب هو أكثر مذاهب المسلمين أتباعا أن يقال أجمع المسلمون على عدم جواز ترجمة القرآن الكريم ؟

فإذا كان في الأرض أربعمائة مليون مسلم فإن منهم نحو مائتين وخمسين مليوناً يتبعون مذهب أبي حنيفة ، والباقيون يتبعون سائر المذاهب ، فأين الأجماع والأمر كما ترى ؟

وتقولون إن من المحال ترجمة القرآن لفظاً بلفظ ، فكيف تقولون ذلك وقد شرطه الحنفية لصحة الصلاة بالترجمة ، وهم حين شرطوا ذلك عرفوا أنه ليس بمحال ، لأن الامام كان فارسياً وفي أتباعه فرس كثيرون كانوا يعرفون أن ذلك ممكن ولو في الفاتحة وبعض الآيات الضرورية للصلاة . وكل عارف بلغة أجنبية يعرف أن الفاتحة وغيرها من بعض قصار السور يمكن ترجمتها كلمة إزاء كلمة .

وإذا كان الامام الأعظم وأصحابه يرون ذلك محالاً فلم جوزوا الصلاة بالقرآن مترجماً؟ أفعلوه تعجباً للناس ، أم أكرهوا على القول به فعلقوه على محال ؟ ومن أين علم أن المقترح أضاف كلمة ( معنى ) الى الترجمة ليتفادى ما أجمع المسلمون على عدم جوازه ؟

المقترح في حل من أن يترجم القرآن على الوجه الذي يمكنه من تصوير المراد منه ، لأن ذلك جائز في أوسع مذهب من مذاهب المسلمين ، واستحسنه علماء كبار من مذاهب أخرى كما رأيت ، فليس هو بحاجة لأن يأتي بالفاظ يستر بها مراده . وهل مراده إلا خدمة العالم بما في كتاب الله من النور الساطع ، والاصلاح العميم ؟

تاسعا :

قال الأستاذ ما صفوته : « أخطأ بعض المفسرين في تفسير بعض قصص الأنبياء فهل اللجنة تترجم هذا الخطأ أو تحذف تلك القصص ؟ فأولى من ترجمة القرآن أن تقوم مشيخة الأزهر يبحث هذه القصص ونفي ما لا يتلاءم وقواعد الدين منها ، فصاحب الدار أحق بخيرها من الغريب » .

نقول : إذا كان بعض المفسرين قد أخطأ في تفسير بعض القصص فبعضهم أصاب لا محالة . فأننا لا نستطيع أن نتصور أن المسلمين في مدى نحو أربعة عشر قرناً كانوا مجمعين من هذه القصص على خطأ مبين ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تجتمع أمتي على ضلالة .

يريد الأستاذ أن تقوم مشيخة الأزهر يبحث هذه القصص ونفي ما لا يتلاءم وقواعد الدين منها ، فلعلمه يريد أن تسلك فيها ما سلكه هو في قصة يوسف وسليمان ، وهذا ما لا يرضاه مسلم له بصر في شئون هذا العصر ، فإن في العالم الغربي رجالا يعرفون اللغة العربية مثل ما يعرفها الأعلام منا ، فإذا لم نسلك في فهم كتابنا الأصول المقررة للفهم ، وملنا بمنة أو يسرة غلوا منا في تنزيه بعض الشخصيات التاريخية ، اعتبرنا أولئك الرجال محرفين لسكتابنا ، وهذه تهمة لم يوصم بها المسلمون إلى اليوم .

وكيف يسوغ لنا أن نفهم أن أعلام هذه الأمة الأولين يجمعون على خطأ في فهم معاني الآيات الواردة في تاريخ بعض الأنبياء والمرسلين ، وقد كانوا أعلم منا بأصول اللغة ، وأكثر منا حيطة لدينهم ، وكرامة كتابهم ؟

إن من أصول الإسلام الاعتراف بعصمة الأنبياء عن الكبائر ، أما الصغائر فحائزة عليهم ، ولا تكاد تقع منهم حتى يسرعوا إلى الاستغفار منها ، وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول تشهد بما نقول .

أفيجمل منا لتنزيه يوسف من خاطر الشهوة البشرية الذي خطر له فعصمه الله من الجسري وراهه ، أن نعالج الآيات التي ذكرت قصته علاجاً مستكرهاً

فنسقطها من أوج البلاغة التي هي فيها ونحملها مالا تحتمله من الاحتمالات  
البعيدة ؟

انظر الي ما ارتكبه الأستاذ في قصة سليمان إذ صرف قوله : « حتى توارت  
بالحجاب » الى الخيل لا الى الشمس ، وصرف المسح بالسيف كراهية لها واحتقارا  
الى المسح باليد حبا وإعجابا .

فاذا كان يريد بما طلبه الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر أن  
يؤلف لجنة لاحداث مثل هذا التحريف ، فاني واثق بأن طلبه لن يجاب أبدا ،  
وواثق أيضا بأن العقل العصري لا يسيغ هذا الضرب من الغلو في تزيه الأنبياء  
فيستسهل صرف المعاني العالية للكتاب في هذه السبيل المحفوفة بالأخطار .

عاشرا :

قال الأستاذ في الوجه العاشر : « إن الله علم أية لفظة تصلح لأن تلي الأولى  
وتبين المعنى بعد المعنى ، وأية لفظة تكون لها عدة معان تتفق وحالة الناس من  
العلوم في جميع العصور ، بحيث يفهم كل جيل المعنى المناسب له ، وبحيث  
لا تكون المكتشفات الصحيحة معارضة لما يفهم من ألفاظ القرآن بل تتمشى  
معه . والبشر لا يحيطون بشيء من ذلك علما إلا على قدر معارفهم الناقصة ،  
كما لا يستطيعون ترجمة ما استبان لهم إلا بقدر مؤهلاتهم القاصرة . فاذا أقدموا  
على ترجمة ما فهموه من المعاني فقد يظهر في المستقبل خطؤه فيضاف هذا الخطأ  
الى القرآن » .

نقول :

إن الأستاذ القاضى يخلط بين الترجمة والشرح في كل ما يكتب ، وهذا  
خطأ كبير . فان ترجمة معاني الآيات لادخل لها في شرح مدلولاتها التي قد  
تترقى بترقى العلوم . ونحن نوضح هذا الموضوع بمثل فنقول : قال الله تعالى :  
« فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله  
تحويلا » . فهذه الآية يترجم معناها على ماتعطيه ألفاظها من المعاني ، بصرف

النظر عن مدلولها العلمي ، فذلك يترك لعلم الناس في عهدهم الحاضر وعهدهم المستقبل . وإلا فلو أردنا أن نتعرض لشرحها فإن ذلك يستدعي منا سفرا ضخما ، فإنها دلت على أن الله في خلقه سننا مقرررة لا تتخلف ، وهو من المعجزات الخطيرة التي قررها القراءان قبل أن يقولها أحد ، وابتنى عليها علم العمران ، وسيترق العالم في فهمها كلما ترقى العلم ، ولا تضرها ترجمتنا لمعناها بحال من الأحوال .

مثال آخر : قال الله تعالى : «إنا كل شئ خلقناه بقدر» فإنا نترجم هذه الآية على مانعطيه معانى ألفاظها بدون تعرض لشرحها ، فإن شرحها يستوعب أحص ما في علم الكون من نظريات ، ولا تقف ترجمتها دون التوسع في فهم مدلولها على حسب ترقى العلوم .

هذه أمور بدهية لا تحتاج لأطالة ، إلا إذا أريد عرقلة مشروع الترجمة بالمحاولات الكلامية .

#### الحادى عشر :

قال الأستاذ في الوجه الحادى عشر مامصاصته : « إن الطالبين بالترجمة لا يريدون إلا الترجمة التي أجمع المسلمون على عدم جوازها ، وإنما أضافوا كلمة معنى للتفادى من ذلك »

#### نقول :

هنا يذكر الأستاذ أيضا أن هنالك ترجمة أجمع المسلمون على عدم جوازها وهي ترجمة اللفظ بلفظ يقابله . ولاندرى كيف يسوغ له هذا القول وهو يعلم أن الحنفية يشترطون أن تكون الترجمة التي تصح بها الصلاة هي هذه الترجمة اللفظية لا الترجمة التفسيرية ؟ أما ترجمة المعانى التي يقصد منها تفهيم الأجانب معانى القرآن فلا يحرمها الأحناف ولا علماء كثيرين من مذاهب أخرى حتى الحنابلة كما ستراه .

ومن أين علم أن إضافة كلمة معنى الى الترجمة يقصد به التويه دون الحقيقة ؟ إن مشيخة الأزهر أنت بهذه الكلمة لتتخلل من مصاعب الترجمة الحرفية

لنستطيع تصوير المعاني الحقيقية للآيات غير مقيدة بتقابل الألفاظ ، فربما كان هذا التقييد غير مؤد للمراد ، وهي إنما تريد تفهيم معاني الكتاب الكريم للأجانب عن اللغة لا إيتاءهم بترجمة يقيمون بها الصلاة على شرط الأحناف ، ولم تعلمهم بذلك ، ولو استفتيت فيه لنعته بتاتا جريا على مذهب الامام .

فلم يسىء الأستاذ القاضى الظن بأئمة الدين المعاصرين الى هذا الحد ؟

الثانى عشر :

قال الأستاذ ما إجماله : « قال تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله » . فهل هؤلاء يريدون ترجمة المحكمات دون المتشابهات ، أم ترجمة كليهما معا ، أم ترجمة المحكمات ترجمة معنوية ، والمتشابهات ترجمة لفظية ؟ فان كان الأول فلا يسوغ لهم تسميته ترجمة معاني القرآن بل معاني بعض القرآن . وإن كان الثانى فانه يقتضى تأويل المتشابهات حتى يمكن ترجمتها . وإن كان الثالث فلا تكون الترجمة معنوية خالصة ولا لفظية خالصة ، بل تكون خليطا » .

نقول :

ايس مراد الله من وصفه بعض الآيات بأنها متشابهة أنها لامعنى لها فى ذاتها على الاطلاق ، ولكن لأن المعقول تفضل فى تأويلها ، وتقصر عن تصور حقائقها . ولنضرب لذلك مثلا بالآية التى نزلت المتشابهات بسببها . قال الله تعالى : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم . الآية » روى أن النصارى لما قرءوا هذه الآية قالوا : أليس القرءان يقول إن عيسى ( روح الله ) ؟ يكفينا هذا اعترافا منه بينوته ، ومضوا بشبهتهم هذه يشيرونها فى الناس على غير هدى ، فنزلت آية المتشابهات تنهى عن تأويل بعض الآيات وصرفها الى ما تشبهه الوسوس الاعتقادية ، وما يعلم تأويلها إلا الله وحده .

فقوله تعالى : « إنا المرسلون على عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . الآية » له معنى ظاهر مستقل بالفهم ويمكن ترجمته الى كل لغة ، ولكن تأويله ليس من غرض اللجنة ، فهي لا تعرفه ولا يعرفه أحد في الأرض فلا تبحث فيه ولا تترجمه .

مثال آخر : قال الله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقال تعالى : « قل كل من عند الله » . هنا تنازع أهل السنة والمعتزلة ، فقال المعتزلة : الآية الأولى محكمة والأخرى متشابهة ، وقال أهل السنة : بل الأولى هي المتشابهة والثانية هي المحكمة .

فكلتا الآيتين كما لا يخفى لها معنى مستقل بالفهم ، يستطيع مترجمو القرآن أن يضعوه في لغات أجنبية ، أما تأويل ذلك المعنى فلا يعنيهما في شيء .  
إذا تقرر هذا فلا محل لكل مارتبه الأستاذ القاضي على كل ما قدمه من المقدمات .

### الثالث عشر :

في هذا الوجه يتحدى الأستاذ المترجمين جميعا ليجربوا أنفسهم في ترجمة معاني آيات اقتبسها من القرآن الكريم ، بحيث يكون للترجمة ما للأصل من روعة تأخذ بالنفوس ؛ وحكمة تستولى على الوجدان ، ومن أحكام تنطبق على قواعد الدين ولا تأبأها العقول الأجنبية الخ الخ .

وهذه هي الآيات :

( ١ ) « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض ، أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً . أفلم يئأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » الآية .

( ٢ ) « وإذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تسلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » .

( ٣ ) « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » الآية .

( ٤ ) « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » الآية .  
( ٥ ) قصة يوسف عليه السلام من قوله تعالى : « واقدمت به » الى قوله  
« واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين » ؛ مع بيان ما فيها من قواعد عمرانية  
ونظامية وقضائية وأخلاقية ومع مراعاة عصمة الأنبياء .

نقول :

إن مشروع الترجمة يتصدى لبيان معانى القرآن الكريم ، ولم يدع قط  
أنه سيضيف الى المعنى الاثنيان بنظم معجز في اللغات التي ينقله اليها كالنظم الذي  
للقرآن المنزل . ولم يأخذ على نفسه أن يشرح ما في الآيات من أحكام وشرائع ،  
ولا ما يستنبط منها من نظم وقوانين ، فمهمته محدودة ولا يسمح له بتعمدها  
بوجه من الوجوه .

فلا محل والحالة هذه لتجدي الأستاذ المترجمين بما أتى به من الآيات .

الرابع عشر :

قال الأستاذ ما خلاصته في الوجه الرابع عشر وهو الأخير : « كتب  
المجوزون للترجمة مقالات تأييداً لذهبيهم لم تسلم واحدة منها من خطأ ، وأسندت  
وقائع الى الرسول لم تثبت . وهذا بمض ما يخافه في التراجم وبخاصة إذا كان  
المترجمون أقل عقلاً وبحثاً وتمسكاً بالدين » .

نقول :

لعل الأستاذ قد بلغه أن ستؤلف لجنة من خيرة العلماء لتعيين معانى الآيات  
بكل دقة وتمحيص ، وتوكل تلك المعانى المحررة للمترجمين ليترجموها ، ثم يوكل  
الى لجنة ثانية نقد الترجمة والتحقق من مطابقتها للنصوص المحررة ، فلا موجب  
للتخوف من الخلط والخطب بعد هذا على الترجمة . ولا أظن أن كتاباً أحيطت  
ترجمته بمثل هذه الضمانات من قبل

الحجج التي يتذرع بها دعاة الترجمة والرد عليها

قال الأستاذ صاحب الرسالة : « تنحصر حجج مجوزى الترجمة في ثنتين :

( الأولى ) أن الترجمات الموجودة للقرآن غيرت معانيه ، فإذا تولت ترجمته مشيخة الأزهر جاءت تلك الترجمة صحيحة .

( الثانية ) أنهم يريدون إفهام الأجانب حقيقة الدين الحنيف لعلمهم يهتدون « ثم تولى الأستاذ دحض الحجتين فقال عن الأولى ما زبدته :

« لو كانت لنا قوة لنمننا تلك التراجم بها . أما الكتب وحدها فلا تقهر كتبنا ، فبلادنا مملوءة بالروايات الساقطة الداعية للأباحة والاحاد ، ويوجد بازاؤها كتب تدحضها وتدعو للآداب والصلاح ، فهل أخذت الثانية أنفاس الأولى أو قلت منها ؟ إنه لا بد لارشاد الناس من استصحاب القوة ، وما دام ليس لدينا قوة فلا تترجى من ترجمة القرآن فائدة ، بل ربما كان ذلك سبباً لأن ينشط المبشرون لوضع آلاف من التراجم الفاسدة ونشرها مكابدة لنا . وإن هؤلاء المبشرين يقرءون القرآن العربي المبين كما تقرؤه ويفهمونه كما نفهمه ، فهل منمهم فهمه من الدعوة الى دينهم ؟ وهل يتحاشون أن يقولوا إن ترجمة اللجنة مصححة للقرآن ، ولكن تراجمنا هي الحقيقية ؟ وما تأثير ترجمة واحدة والأسواق غاصة بالتراجم الخاطئة ؟ »

تقول لرد هذه الشبهات :

إننا نأسف من أن نرى رجلاً في مثل درجة الأستاذ من العلم يطوح به الهوى الى مثل هذه الآراء الفائلة ، والخيالات البعيدة . فمتى عهد الناس أن أمة تستخدم القوة لمحو تراجم خاطئة صدرت لكتابتها في أمة أخرى ؟

ومتى رأى الناس أن لا فائدة لعمل ترجمة صحيحة بازاء تراجم خاطئة فتركوا الخطأ على ما هو عليه ليعتبر سكونهم عنه رضاً به ؟

وكيف يروج في عقل إنسان أن ترجمتنا لمعاني القرآن تهيب المبشرين الى وضع (آلاف) من التراجم الضالة ؟

وعلى أية حال يعقل إنسان أنه ما دام المبشرون بين ظهرائنا يقرءون القرآن ويفهمونه ، ويستمررون في دعايتهم ، فلا حاجة بنا لعرض ديننا على العالم ؟

وكيف يمكن أن يتصور إنسان أن ترجمتنا لا تنفع مادامت الأسواق غاصة بالتراجم الخاطئة ، ويكون الأولى بنا أن ندع لتلك التراجم الخاطئة المجال حراً ولا نقابلها بأية معارضة ؟

ألا إن ما يقوله الأستاذ لا يقره عقل ، ولا يسنده عرف ، وقد جرى العالم قديماً وحديثاً على خلافه ، حتى إن أقوى الأمم التي لا تبالي لو سخط عليها الناس أجمع لتبادر إلى تكذيب فرية قافية تروى عن سياستها أو أعمالها ، تصحيحاً لرأى الناس فيها ، واستدامة لثقتهم بها .

أما نحن فإن الأستاذ ينصحنا على ضعفنا أن ندع كتابنا عرضاً لكل محرف متعمد وغير متعمد ، وعرضة لكل تشويه خفي أو ظاهر ، حتى نحصل على قوة فتمحو ما كتبوا بأطراف القنا المقومة ، وظبي السيوف المذربة .

بجـ بـ بـ بـ بـ

يقول الأستاذ إن الكتب لا تقهر كتباً ، ويضرب مثلاً بكتب الأفاضل والالحاد والكتب المؤلفة ضدها .

فهل يريد الأستاذ أن يقول : إنه مادامت ليست لدينا القوة الرادعة فيحسن بنا أن لانعارض الكتب الداعية للهوى والالحاد بكتب تدعو للهدى والرشاد ؟ إن كان يقصد ذلك فهو مناقض لقوله تعالى : « فذكر إن نعمت الذكرى . سيدكر من يخشى . ويتجنبها الأشقى » ، وقوله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر » ، وقوله تعالى : « فأنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » ، وقوله تعالى : « كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره » وقوله تعالى : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد »

### الحجة الثانية ورد الأستاذ عليها :

قال الأستاذ : « الحجة الثانية لدعاة الترجمة هي أنهم يريدون إفهام الأجانب حقيقة الاسلام لعلمهم يهتدون . فهل عرفنا نحن حقيقة فاهتدينا بهديه ولم يبق إلا أن نهدي غيرنا إليه ؟ أليست عامة المسلمين أولى بأفهامهم حقيقة الدين من الأجنبي ؟ ثم قال :

« على أن تفهم الأجانب حقيقة ديننا لا يستلزمان ترجمة معاني القرآن ،  
ولكن هدايتهم تكون بأمرين : الأول بوضع كتاب يبين فيه ما يدعو اليه والأصول  
العامة للفقهاء والمعاملة والأخلاق الخ . والثاني بظهورنا أمامهم بلباس الدين  
متمسكين بما يدعو اليه . فاذا وصلنا الى هذه الدرجة سعوا الينا وتعلموا لغتنا ،  
كما كان يحصل أيام الفتوحات الاسلامية ، وكما يحصل منا إذا أردنا تعلم علم اختصاصوا  
هم به ، فاننا نسعى الى معرفة لغة أهل هذا العلم » .

نقول :

إن هذا الكلام من الأستاذ يفهم منه أن الاسلام أنزل خاصا بنا ، فنتى  
استوفينا حاجتنا منه وتحلينا بجميع فضائله ، حسن بنا إذ ذاك أن نفكر في الأجانب  
عنا . وفاته أن هذا الدين أنزل للبشر كافة ، وأن على السابقين اليه إذاعته بينهم  
عامة ، فليست حاجتنا نحن بأولى بالتقديم من حاجة غيرنا اليه ، ورب حامل فقه  
الى من هو أفقه منه ، ورب مبلغ أوعى من سامع ، كما ورد في الحديث .

فنحن في الدعوة الى الاسلام لانأى بنا فلة ، لنا الخيار في تمجيلها أو تأجيلها ،  
ولكن بواجب من الواجبات المفروضة علينا سواء أعملنا بالدين أم لم نعمل ، قال  
تعالى : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من بينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في  
الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

فليس أمام الاسلام عربي ولا أجنبي . فان قلت : اذا كان الأمر كما تقول  
فلم لم ينزله الله بكل لغة في الأرض ؟

نقول : اذا استساغ المترض هذا الاعتراض فلم لا يستسيغ أن يقول : اذا  
كان الله يطالب كل فرد بالاسلام فلم لم يوح ذلك الى كل مكلف على حدته ؟

إن كلا الاعتراضين في نظرنا متساويان ، وهما معا باطلان ، فكما اقتضت  
حكيمته تعالى أن يرسل رسولا واحدا الى الملايين من عباده يصطفيه منهم ، كذلك  
اقتضت حكيمته أن يرسل أمة واحدة لتبليغ الأمم كافة يصطفيها منها . وكما أوجب  
على الرسول أن يبذل وسمه في إبلاغ ما أتمن عليه من الرسالة بكل وسيلة ، وأن

يخاطب الناس على قدر عقولهم ، ويتنزل الى درجة فهمهم ، ويقارعهم بما يحذقونه من أساليبهم ، كذلك أوجب على الأمة التي تختار لنشر دعوته أن لا تندخر وسيلة في إبلاغها للأمم ، فتختار من الذرائع ما تلهمها الأحوال بأنه أولى بالتعويل عليه من غيره .

وقد فهم المسلمون هذا الأمر منذ وجودهم ، فعملوا عليه جهد طاقتهم ، ولم تقفهم مسألة ترجمة القرآن لهذا الغرض نفسه . وهو ما رواه ابن حجر عن ابن بطال في فتح الباري من أن على العرب أن يترجموا القرآن للأمم التي لا تفهم العربية تحقيقاً لمبدأ تميم الدعوة به ، كما أثبتناه بلفظه في فصل متقدم .

فلا معنى والحال هي هذه لقول الاستاذ صاحب الرسالة التي نقدها إن الأولى بنا أن نهدي أنفسنا أولاً ثم ننظر في أمر غيرنا ، فإن ما أوجبه الدين كل لا يتجزأ ، ونحن مطالبون به كاملاً ، ومحاسبون على التقصير فيه أصلاً أصلاً .

أستبعد أن تكون ترجمتنا للقرآن سبباً في هداية أمة اليه يمز الله بها الاسلام في هذا العهد الذي ضعف أهله عن الاضطلاع بأعبائه ، وقصروا عن القيام بعبادته ؟

أما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين ، فهل يحرم علينا أن نقول : اللهم أعز الاسلام بأمة من الأمم ؟

## و بعد

عقد الأستاذ القاضي فصلاً في رسالته تحت هذا العنوان قال فيه ما خلاصته : « كانت الفتوحات في أيام الفاروق واسعة ، وكان الصحابة أحرص منا على نشر الدين ، ومع هذا فلم يفكروا في ترجمة القرآن الكريم .

» وقد زادت الفتوحات اتساعاً في عصر هرون الرشيد والمأمون ، ودخلت في الاسلام طوائف كثيرة لسانها غير عرب ، وكثر المترجمون الى اللغات ، ومع هذا فلم يجد أحد حاجة الى ترجمة معاني القرآن الكريم .

» لم يسوا لغة القرآن لعلمهم أن في بقاء لفته على ماهي عليه دوام حياة

الأمة العربية ونماؤها وبقاء دينها بل وبقاء القرآن . وهذه قاعدة أجمع عليها علماء الاجتماع من شرقيين وغربيين . فان كل أمة تسعى في نشر لغتها وإضعاف لغة غيرها لعلها أن رواج تجارتها ومد نفوذها وسلطانها يتبع نشر لغتها .

« وكما تدعو السياسة الى المحافظة على اللغة يدعو الى ذلك الدين نفسه ، لأن القرآن لا يمكن فهمه حق الفهم ولا معرفة قدره حق المعرفة الا باللغة العربية . » وما روى عن الامام أبي حنيفة من أنه أجاز القراءة بالفارسية ثبت رجوعه عنه ( الاستاذ يقول ثبت ) . فالاقدم على ترجمة القرآن بدعة في الدين سيئة ، وقد يؤدي ذلك الى انصراف بعض متعلمي اللغات منا عن القرآن وتفاسيره الى تراجمه ، ويتبع ذلك انحطاط اللغة العربية « انتهى .  
ونحن لرد هذه الشبهات نقول :

### لم لم يترجم الصحابة القرآن ؟

لم يفكر الصحابة في ترجمة القرآن استكمالاً لوسائل الدعوة لسببين :  
( أولهما ) تعذر ذلك عليهم لعدم وجود من يستطيع ذلك منهم ، ناهيك أنهم لم يجدوا من يتولى أمور الدواوين منهم باللغة العربية فأبقوها بلغات أهلها حتى وجد منهم على عهد عبد الملك ، أى في أواخر القرن الاول للإسلام ، من يستطيع الاضطلاع بها ، فقلب لغتها الى العربية ، وكان هذا الأمر لا يستدعى أكثر من القراءة والكتابة . أما الترجمة فتستدعى حذق بعض اللغات الأجنبية ، وكيف السبيل الى ذلك وهو يقتضى ثقافة خاصة لم تكن وجدت الى ذلك العهد ، ولا الى ما بعده بنحو مائتين وخمسين سنة ؟ فكيف يعقل أن يفكر الصحابة في ترجمة القرآن الى اللغات الأجنبية ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ؟

هذا هو المانع الأول . وأما المانع الثاني فهو أن الترجمة كانت لا تجدى أولئك الأقوام الماصرين للصحابة ، لأنهم كانوا تحت سلطان ساداتهم في إيمانهم وكفرهم . وقد قام الصحابة باقناع أولئك السادة بفساد أديانهم

وصلاحية الاسلام ، فدخلوا فيه وتبعهم مقلدوهم مسرعين ، وبقوا مسلمين إلى هذا اليوم ، ولا يعرف القرآن منهم إلا نفر يمدون على الأصابع ، وأما من عداهم فيعرف بمضهم قراءة الفاتحة بلهجة لا تفهم ، وبقى سوادهم لا يعرفون ولا فاتحة الكتاب ، ولا يصلون ولا يصومون .

ومن شاء أن يتحقق من هذا كله فليسال الطلبة الأجانب الذين في الأزهر ليسمع ما يسوءه من هذه الناحية .

وهاتان الهند والصين اللتان أسلم ملايين من أهلها منذ القرن الأول ، لا يزالون إلى اليوم ، وقد بلغوا الآن هم والأندوسيون وغيرهم أكثر من ثلاثمائة مليون نسمة ، على ما كان عليه آباؤهم الأولون من الجهل بالعربية جهلا تاما ، وقد حذق كثير منهم الإنجليزية بحافز من الحاجات المعيشية ، ولم يحدثوا أنفسهم بتعلم العربية ، فاضطروا إلى ترجمة القرآن ، فترجمه رجال منهم إلى الصينية والهندية والإنجليزية والأندوسية ، وقد طلب الأندوسيون أخيراً إلى علماء الهند السنين أن يترجموه لهم إلى الإنجليزية ، فشرعوا في ذلك وأتموا منه ثمانية عشر جزءاً كما ورد في جريدة البلاغ وأثبتناه في فصل متقدم

فلو كان كتب لهذه المثات من الملايين أن تتعلم العربية ، لتعلمتها والدولة العربية في أبهة سلطانها ، واللغة في نضارة شبابها . أما اليوم وقد سممت الشبهات العملية العقول ، وأصبحت الزعامة العالمية في أيدي الشعوب الأوربية ، فإن مجرد التأميل في تعلم المسلمين الأجانب للغة العربية يعتبر من قبيل الاشتغال بالخيالات البعيدة .

من أراد أن يعرف مكان هذا الأمل من التعذر فليعتبر بالأمة التركية ، فقد حملت أعباء الخلافة نحو أربعة قرون ، وأدجت في لغتها أرق الألفاظ العربية ، حتى إنها فيها لتبلغ الربع من جملتها ، وعرف الأتراك بشدة التمسك بالدين ، ومع ذلك بقيت الأمة التركية تجهل العربية إلى اليوم . ولا يكاد يفهمها منهم إلا مثات من رجال الدين على قصور تام فيها .

فما ظنك بها وقد جردت لغتها من جميع الألفاظ العربية اليوم ؟

لم لم يترجم العباسيون القرآن

وقد كانت دولة الترجمة قائمة في زمانهم ؟

هذه تعتبر شبهة عند الذين يأخذون الأقوال بظواهرها ، ولكنها عند أهل العلم من الوهن بحيث لا تحتمل النقد .

نعم قد كان للترجمة دولة قائمة على عهد المنصور وأبنائه ، وبخاصة حفيديه هرون والمأمون ، ولكن القاعين بأعبائها كانوا كلهم من النصارى واليهود والصابئة ، استخدمهم الخلفاء لنقل العلوم الطبيعية والرياضية والطبية وغيرها من اليونانية والسريانية والهندية والفارسية إلى اللغة العربية ، أشهرهم حنين ابن أسحق ، وابن البطريق ، وقسطا بن لوقا ، وثيادورس ، وأبو روح الصابي ، وأبو بشر متى ، وحبيش ؛ واصطفان بن الصلت ، ولم يكن بينهم مسلم واحد قط ، فهل كان يريد الأستاذ مؤلف الرسالة أن يسند إلى واحد من هؤلاء ترجمة القرآن إلى بعض اللغات الأجنبية !

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، كانت الشعوب الأوربية في إبان المدينة العباسية في العهد الذي يسمونه بعهد القرون الوسطى ، وهو المحصور بين القرن الرابع والقرن الخامس عشر ، وكانت أوربا فيه ، وهو يزيد عن ألف سنة ، في ظلام حالك من الجهل ، وتحت السلطان المباشر لرجال الكنيسة ، فكانوا لا يسمحون بتسرب كتاب فيه بصيص من العلم إلى أيدي الناس خشية أن تنتج من ورائه بدعة دينية ، بله كتابا دينياً يدعوهم لتغيير ملتهم . وقد بالغوا في هذا الاحتياط حتى أقاموا محاكم خاصة لصيانة العقائد سموها محاكم التفتيش ، فكانوا إذا سمعوا عن رجل أنه يشتغل بالفلسفة أو بالمعلم الكوني ، اقتحموا عليه دارم وفتشوها تفتيشاً دقيقاً ، فإذا عثروا فيها على كتاب غير الكتب التي وضعوها

حاكموه وحكموا عليه بأقسى العقوبات ، حتى إنه لما تسربت بعض علوم عرب الأندلس الى ما جاورها من الممالك الأوربية وأخذ بعض الناس يتدارسونها ، حكم على أكثرهم بالحرق في النار ، وقد بلغ عدد هؤلاء الضحايا نحو ثلاثمائة ألف وستين ألفاً ، ألقوا جميعاً في النيران المستعرة ، ومنهم رجال عباقرة كبار من أمثال غاليليه وبرونو وغيرها .

ولما نشأت الدولة العثمانية في آسيا الصغرى ، وألقت بصرها الى الشاطيء الأوربي في القرن الرابع عشر الميلادي ، أصدر البابا القائم منشوراً قال فيه : أن المسلمين رجس فلا يجوز أن تظأ قدم واحد منهم أرض أوربا .

كان هذا في القرن الثالث عشر ، فما ظنك بالعصيبة الدينية في أوربا أيام قيام الدولة العباسية في القرنين الثامن والتاسع للميلاد ؟ هل كان من الحكمة أن يترجم القرآن ويرسل إلى البلاد الأوربية ليصادر يوم وصوله ويباد من عملوا على استيراده ؟

هذا إذا كان في المسلمين من يستطيع ترجمة القرآن إلى تلك اللغات إذ ذاك وتعلمها كان من أصعب المحاولات .

أين هذا مما هو عليه الحال اليوم من حذق مئات الألوف من المسلمين لتلك اللغات ، واستعداد الأوربيين ، بما حصلوه من الحرية وحب الحق ، لقراءة كل ما يقدم اليهم ، بل هم قد أصبحوا يطلبون الينا أن نمدم بما لدينا ليبحثوه ويبدوا رأيهم فيه ، ويستقدمون اليهم رجالاً منا ليباحثوهم الآراء فيما هم بصدده من وسائل نزع السخائم من القلوب ، وشد روابط الألفة بين مختلف الشعوب ؟ أما بلفكم أن مؤتمراً الأديان بلوندره طلب إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر أن يمثل فيه ويلقى خطبة في أحسن الوسائل في نظره لتحقيق مبدأ الزمالة العالمية بين البشر كافة ؟ أفلا يحسن بنا أن نهدي القرآن المترجم لأمثال هؤلاء ليتدبروه ويتأملوه ، ويتحققوا أن فيه شفاء لما في الصدور ، وخلصاً للإنسانية من الشرور ؟

حقاً إن الذين يريدون حجب هذا النور اليوم لآثمون !

## هل ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية

تعطل انتشار اللغة العربية ؟

قال الأستاذ صاحب الرسالة ما معناه : « لم يحس المسلمون الأولون لغة القرآن بالترجمة لعلمهم أن في بقاء لغته على ما هي عليه دوام حياة الأمة العربية ونماءها وبقاء دينها بل وبقاء القرآن . وكل أمة تسعى أشد السعى في نشر لغتها وإضفاء لغة غيرها لعلها أن رواج تجارتها ومد نفوذها وسلطانها يتبع نشر لغتها الخ الخ »

نقول :

إننا لم نقرأ في كل ما قرأناه من الشبهات شبهة أو هي بنيانا ؛ وأوهن أركاننا ، وأبعد عن العرف وعن الواقع من هذه الشبهة . فلو كانت صحيحة لكانت الأمم التي يضرب الأستاذ لنا بها الأمثال أحجمت عن ترجمة كتبها المقدسة إلى لغات الأمم الأجنبية عنها ، محافظة على لغاتها القومية ، ولما سمح كبار مؤلفيها بترجمة مؤلفاتهم إلى غير لغاتهم الوطنية . والذي نراه بأعيننا أن الأمم قاطبة تسعى إلى نشر مذخور آدابها ؛ وعمرات تفكيرها إلى اللغات الأخرى ، وتمد ذلك من مفاخرها ، ولم يؤثر ذلك على لغاتها الأصلية ، بل زادت نماء وارتقاء .

يقول الأستاذ : إن الأمم تسعى في نشر لغاتها وإضفاء لغات غيرها .

نقول : نعم ، ولكن ذلك في البلاد التي تطمح في احتلالها واستعمارها ، ولكنها بالنسبة للبلاد التي تطمح إلى مزاملتها ومبادلتها ، نراها تعمم تعليم لغاتها في مدارسها مع لغاتها الوطنية . فترى الفرنسيين يدرسون في مدارسهم إلى جانب لغتهم اللغة الإنجليزية والألمانية والإيطالية ، والإنجليز يلقنون أطفالهم الفرنسية والألمانية ، والألمان يعلمون الفرنسية والإنجليزية ، واليابانيين يثون في نابقتهم الإنجليزية وغيرها الخ .

وتكاد لا ترى أوريبيا أو يابانيا لا يعرف إلى جانب لغته الوطنية ، لغة أو لغتين أجنبيتين ، فكيف يصح قول الأستاذ إن كل أمة تسعى في نشر لغتها وإضعاف لغة غيرها ؟

فهل نطمح نحن إلى احتلال أوربا واستعمارها فنسعى في نشر لغتنا فيها وإضعاف لغاتها ولغات المنافسين لنا في تدوينها ؟

ليس هذا الطموح بحال ، ولكننا لسنا بسبيله اليوم ، وإنما نحن بسبيل إفهام الأجانب حقيقة ديننا بلغاتهم ، كما يفهموننا حقيقة دينهم بلغاتنا ، فهل في هذا ما يقدح في تعصبنا للغتنا ، وحرصنا على كرامتها ؟

ليس غرض الأستاذ بهذا القول الدفاع عن اللغة العربية ، ولكنه يريد به أن يعطل ترجمة معاني القرآن فحسب ، ولو بأثارة مثل هذه الشبهات الواهنة ، لأننا لا نعقل أن هذه البدايات تغيب عنه .

نعم لأنه لو كان يريد الدفاع عن اللغة العربية ، ويعتقد أن ما يقوله صحيح لكان ناز على كل كتاب نضعه لأوربا بغير اللغة العربية . ولكنني رأيت في رسالته نفسها يقول تحت عنوان كيفية تفهيم الأجانب حقيقة ديننا : « أن يوضع لهم كتاب بواسطة لجنة من علماء الأزهر الشريف وعلماء القانون وعلماء التربية والاجتماع يبين فيه ما يدعو إليه الدين الحنيف الخالص ، وهو واجب أو فرض كفاية على الأمة الإسلامية » .

فهل يضر اللغة العربية أن يترجم القرآن الكريم الى اللغات الأوربية ، ولا يضرها أن يوضع كتاب بتلك اللغات ، وما الفرق بين العملين بالنسبة لمصلحة اللغة العربية ؟

يقول الأستاذ : « لم يمس المسلمون الأولون لغة القرآن بالترجمة لعلمهم أن في بقاء لغته على ما هي عليه دوام حياة الأمة العربية ونماءها وبقاء ذكرها ودينها ، بل وبقاء القرآن » .

نقول : أما عدم مساس المسلمين للغة القرآن بالترجمة فقد بينا أسباب ذلك

في الفصل المتقدم ، ولم يكن له من علة غير ما ذكرنا . وليس بصحيح أن المسلمين لم يمسوا لغة القرآن على الاطلاق بالترجمة .

فقد جاء في النهاية والدراية أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان الفارسي أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكتب ، فكانوا يقرءون ما كتب في الصلاة حتى لانت أسننتهم ، وقد عرض ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه .

هذا كان على عهد النبوة ، أما في مدى القرن الأول على عهد التابعين فكانت ترجمة القرآن والصلاة بها لا تعتبر شيئا فريا . فقد قال الأستاذ المرحوم الشيخ محمد بن حنيت مفتي الديار المصرية في فتوى لأهل الترانسفال ما نصه حرفيا :

« وتجاوز القراءة والكتابة (أى للقرآن) بغير العربية للعاجز عنها بشرط ألا يختل اللفظ ولا المعنى . فقد كان تاج المحدثين الحسن البصرى يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسية لمدم انطلاق لسانه باللغة العربية » انتهى .  
إن أمرا يفعله الحسن البصرى الذى يعتبر إماما لجميع أئمة هذه الملة ، لا يصح وصفه بأنه خروج على المبادئ الإسلامية .

هذا كان في القرن الاسلامي الأول الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم :  
إنه خير القرون . أما في القرن الثانى فقد أصبحت هذه الرخصة الاسلامية مذهباً دينياً لصميم أهل السنة والجماعة في مذهب أبي حنيفة كما رأيت .

أما في القرن الثالث الذى انتشر فيه مذهب الشافعى وابن حنبل ، فقد استحسن بعض علمائها ترجمة القرآن ، ولكنهم لم يجوزوا الصلاة بالترجمة . وقد أثبتنا ذلك من كلامهم بما لا يدع حاجة للمزيد .

هذه خلاصة مذاهب الأئمة وأفعالهم في الثلاثة القرون الأولى للإسلام ، فهل يصح أن يقال بمد هذا : « إن المسلمين الأولين لم يمسوا لغة القرآن بالترجمة لعلمهم أن في بقاء لغته على ما هي عليه دوام حياة الأمة العربية ونماءها وبقاء ذكرها ودينها ، وبقاء القرآن ؟ »

قأية علاقة يمكن أن توجد بين بقاء القراء غير مترجم ، وبين دوام حياة الأمة العربية ونماؤها الخ ؟ .

هل دوام حياة الأمة العربية ونماؤها وبقاء دينها يتوقف على أن القراء تبقى ترجماته محرفة في أوروبا ، ونحن صامتون جامدون كأن تحريفه لا يعنيننا ؟

وهل دوام حياة هذه الأمة ونماؤها الخ الخ يتوقف على أن يجهد العالم كله كتابها فيخططوا في عزو الضحكات والخزعبلات اليه ؟ قرأت في مجلد سنة ١٩١٦ من مجلة الحياة والعلم الفرنسية La vie et la Science بحثا لأحد علماء الحيوانات في الجراد صدره بقوله : « جاء في القراء أن الجراد الواحد تضع تسعا وتسعين بيضة ، وإن وضعت ما يتم المائة لم يبق في الأرض . متسع لغيرها » .

وقال غيره : « القراء يقول بأن المرأة لاروح لها ولا ترث الآخرة ، وأنه يدعو الى الشهوات ، والى إبادة الكفار والى عبادة محمد الخ » .  
فهل بقاء هذه الأضاليل كلها يتوقف عليه بقاء الأمة العربية ونماؤها وكرامة دينها ، وشرف قراءاتها ؟

أنا لا أقول إن هذه الأضاليل موجودة في التراجم المطبوعة ، ولكني أقول إن هذه التراجم محرفة ، ولا يجوز بقاؤها على حالها ، وإلا كنا راضين عنها ومحاسنين عليها .

ويعد الأستاذ من آثار إهمال الترجمة بقاء القراء .

وهذا أعرب من كل ما سبقه من الشبهات ، فهل يرى أن الترجمة يمكن أن تحمل محل القراء فيستغنى عنه ولا يكون له معها بقاء ؟

لا يعقل هذا إلا إذا نسخ اللسان العربي ، وهجره أهله ، وآثروا عليه لسانا آخر من الألسن الأجنبية ، فهل يرى الأستاذ إلى هذا المعنى ؟ وهل في الأرض مجال أكثر عراقة في البطلان منه ؟

إن شبهة الأستاذ التي مؤداها أن ترجمة القراء قد تفضي إلى أن الذين

يتعلمون اللغات منا يعملون على الترجمة ويهملون الأصل ، شبهة لا تحتمل النقد ، فانه يرى أنه مع انتشار اللغات الأجنبية في البلاد العربية والمستعربة قد قويت بجانبها اللغة العربية قوة لا يوجد نظير لها في هذه البلاد في الألف السنة الماضية ، فيكاد يكون اليوم كل متعلم فيها كاتباً وخطيباً ، على حين أن الناس كانوا في الجيل الماضي ، حيث لم تكن اللغات الأجنبية منتشرة ، لا يكادون يقرءون الكتب الأولية قراءة صحيحة .

ولعل الأستاذ يرى أن الأمم الإسلامية التي لسانها غير عربي قد يحملها طلب فهم القراءان على أن تتعلم العربية فيكثر سواد المتكلمين بها والمعلمين عليها ، فلو قمنا بترجمة القراءان لها صددناها عن تعلم العربية .

وهذا أيضا من الأوهام ، فان هذه الشعوب لم تحاول قط أن تتعلم العربية أيام كانت الدولة العالمية للمسلمين ، والسلطان المطلق في أيديهم ، أفتمعمل على تعلمها اليوم وهي أشغل ما تكون بأمر معاشها ، ومقاومة المتوغلين في أحشائها ، وقد رأيت أنها هي نفسها تطلب ترجمته الى لغة تستطيع أن تفهمه بها ؟

وهل مما يسوغ دينا أن نهمل ترجمة القراءان ترجمة صحيحة ، ونتركه محرفا مشوها باللغات الأجنبية ، جريا وراء أوهام كهذه لم تتحقق في أمة من الأمم في العهود الماضية ، ولن تتحقق في الأزمنة المستقبلية ، فضلا عن أنها ليست من الممكنات عقلا ؟

### رد الأستاذ في رسالته

على ما كتبتة بالأهرام

ذهب الأستاذ في رده على بآني (١) رميت الغيورين على الدين بالفلاة عن مذهبهم (٢) وأنى نسبت لامام المحدثين الحسن البصرى ما لا يعقل (٣) ونسبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يثبت (٤) وغلطت في آراء الحنفية .

رمانى الأستاذ بكل هذه التهم ، وإني لناقشه فيها جميعا فأقول :  
التهمة الأولى : أمارى الأحناف المعاصرين الذين يقولون بعدم جواز  
ترجمة القرآن بالفقلة عن مذهبهم فصحيح ، لأنه قد طبعت عشرات من كتب  
الأحناف فى مصر وكلها تنص على جواز ترجمة القرآن والصلاة به لمن لا يعرف  
العربية . وهى منتشرة بين الناس ، ويستطيع أن يتحقق من هذا الأمر كل من  
يعنى به منهم .  
أست معذورا بعد هذا كله أن أتهم كل حنفى ينكر هذا بأنه غافل عن  
أحكام مذهبه ؟

التهمة الثانية : وأما نسبتى لآمام المحدثين الحسن البصرى مالا يعقل  
فليست بصحيحة ، فقد نقلتها عن الأستاذ المرحوم الشيخ محمد نجيب مفتى  
الديار المصرية ، فقد كتب فى فتوى أرسل بها الى مسلمى الترانسفال فى سنة  
١٩٠٣ ونشرتها مجلة المنار له فى ذلك الحين مانصه بالحرف الواحد : « وتجوز  
القراءة والكتابة (أى للقرآن) للمعجز عنها بشرط ألا يحتل اللفظ ولا المعنى  
فقد كان تاج المحدثين الحسن البصرى يقرأ فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق  
لسانه باللغة العربية » . انتهى

وما كنت لأتهم مثل الأستاذ المرحوم فى حادثة تاريخية تتعلق بأدق  
مسألة دينية ، وهى جواز تلاوة القرآن فى الصلاة مترجما الى لغة أجنبية .  
فاذا كان الأستاذ صاحب الرسالة يوجه الى لوما فلينشركه معي فيه .

وقد نقل الأستاذ صاحب الرسالة عن صاحب مسلم الثبوت أنه قال :  
« سمعت من بعض الثقات أن تاج العرفاء صاحب تاج المحدثين إمام المجتهدين الحسن  
البصرى كان يقرأ القرآن فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية »  
ثم عقب ذلك بقوله ملخصا : « إن عمل التابعى ليس حجة فى مسائل الدين . ثم  
إن هذه الرواية غير معقولة لأنه كيف يكون إمام المجتهدين وصاحبه ممن لا  
يحسنون العربية وقد أجمع الأصوليون على أنه يشترط أن يكون المجتهد عالما  
بالعربية ، لاسيا وقد شهد شيوخ البيان للحسن بالفصاحة » ؟

نقول :

يقول صاحب كتاب مسلم الثبوت في علم الأصول : « سمعت من بعض الثقات » ويورد الخبر ولا يعقب عليه بنقد ولا تجريح ، بله التهويل والتبديع ، فينبري الأستاذ لنقده وتجريحه لابعثار أن روايته مدخولة ، ولكن باعتبار أن الصلاة بالترجمة كبيرة ، فانظر كيف تبدلت سماحة الاسلام في نظر المتأخرين حتى صاروا لا يقبلون ما كان يقبله أئمتهم ! وأنت خبير أن هذا لا يرجع الى أنهم أغير منهم على الدين ، ولكن يرجع الى أنهم يحاولون أن يؤثروا على سمعة ناس من هذه الناحية !

يقول الأستاذ . إن هذه الرواية غير معقولة ، لماذا ؟ يجب : لأنه يشترط في المجتهد أن يكون عارفاً باللغة العربية والحسن البصرى كان إماماً مجتهداً بل إمام الأئمة

فهل يمنع أيها الأستاذ أن يكون الانسان إماماً في اللغة العربية ولا يجيد النطق بها كما هو حال كبار المستشرقين ومجتهدى الفرس و علماء الترك والافغانين وغيرهم ؟ فإذا كان الحسن البصرى وصاحبه تاج العرفاء على إمامتهما في الدين لا يحسنان النطق بالحاء ولا بالعين و كانا يقرءان ( الرحمن ) بدل الرحمن ، و ( الرحيم ) بدل الرحيم ، و ( الحمد ) بدل الحمد في فاتحة الكتاب ، و ( الآلين ) بدل العالمين ، و ( إياك نأبد ) بدل إياك نعبد ، و ( إياك نستئين ) بدل وإياك نستعين ، و ( المستكم ) بدل المستقيم ، و ( أنأمت عليهم ) بدل أنعمت عليهم ، و ( المنظوب أو المنظوب عليهم ) بدل المفضوب عليهم ، و ( الدالين أو الظالين ) بدل الضالين ، قلنا إذا كانت قراءتهما على هذا النحو وكرها أن تكون صلاحتهما مشوبة بهذا التحريف ، فهل عليهما من بأس إن عملا فيها بالرخصة الإسلامية ؟

يقول الأستاذ . إن عمل التابعي ليس بحجة في مسائل الدين .  
نقول : هذا صحيح ، ولكن إن خالف الكتاب والسنة والاجماع والقياس

الصحيح . ولكن إن كان لا يخالفها ، بل وجد في السنة ما يؤيده وسوغه القياس الصحيح أيضا ، أمكن الأخذ به .

التهمة الثالثة :

وأما نسبتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يثبت فليست بصحيفة أيضا ، فقد ذكر الأستاذ أني أتيت على خبر ترجمة سلمان للفاتحة وقلت إن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها ، ولكنه هو لم يمتز على تلك الرواية إلا في المبسوط وليس فيه أنه أقرها .

تقول :

إني نقلت روايتي عن كتاب ( النهاية والدراية ) فليرجع الأستاذ اليه . وقد سبق للأستاذ الرحوم الشيخ محمد بحيث أن نقله عن هذا الكتاب في فتواه لأهل الترانسفال قبل أكثر من ثلاث وثلاثين سنة ، فقال كما هو مذكور في مجلد سنة ١٩٠٣ من مجلة النار:

« وفي النهاية والدراية أن أهل فارس كتبوا الى سلمان الفارسي أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكتب فكانوا يقرءون ما كتب في الصلاة حتى لانت ألسنتهم . وقد عرض ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه » انتهى

فعدم إنكاره عليه إقرار له كما لا يخفى ، وهل يصح للأستاذ أن ينسب الى ما لم أفعله بحجة أنه لم يجده في الكتاب الذي عنده ، ألا كان يحسن به أولا أن يسألني من أين أخذته ؟

وقال الأستاذ: « لو كان إقرار النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكرته ثابتا لاستدل به أبو حنيفة على مذهبه ، ولخضع له سائر الائمة ، ولاشهر أمره بين المسلمين ، ولعمل به الصحابة الخ » .

تقول :

قد ثبت هذا الخبر عند أبي حنيفة واستدل به وبني مذهبه عليه ، جاء

في المبسوط صفحة ٣٧ ج ١ قوله : « استدل أبو حنيفة بما روى أن الفرس كتبوا الى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرءون ذلك في الصلاة حتى لانت أسنتهم » .

أما قوله : « لو كان ذلك ثابتا لخضع له سائر الأئمة » فهو غريب جدا من الأستاذ ، لأن ما يثبت من أحاديث النبي وأعماله عند إمام يأخذ به ، قد لا يثبت عند إمام آخر فلا يأخذ به ، ولهذا السبب اختلفت المذاهب ، وهل لاختلافهم من سبب أكبر من هذا ؟

ومن العجب العاجب أن الأستاذ بعد أن قال : « لو ثبتت هذه الرواية لاستدل بها أبو حنيفة » عاد في الصفحة التي تليها فقال : « إن الامام أباحنيفة بعد أن استدل بهذا الخبر رجع عن هذا القول ! »

نقول :

قد أثبت الأستاذ هنا بنفسه أن أباحنيفة استدل بهذا الخبر بعد أن نفى استدلاله به في الصفحة التي قبلها ، وزاد عليه قوله إنه رجع عنه . فأما رجوعه عنه فلا يمكن الاستدلال عليه من أى كتاب من كتب الحنفية ، وأنا أتحداه في ذلك . وكل ما روى هو أنه كان يقول بجواز الصلاة بالترجمة لمن يحسن العربية ومن لا يحسنها على حد سوى ، ثم رجع عن هذا الاطلاق إلى رأي صاحبيه وهو جواز ذلك لمن لا يحسن العربية فقط .

فالأخوذ من الهداية وشرح المجمع والدر المختار وغيرها أن أباحنيفة كان يقول أولا بجواز قراءة القرآن في الصلاة بغير العربية مطلقا عاجزا كان القارى أو قادرا . وخالفه أصحابه فقالا بجواز ذلك للعاجز ، وأن أباحنيفة رجع عن قوله إلى قولها . قال في الدر : « أو قرأ بها عاجزا فحائز إجماعا . قيد القراءة بالمعجز لأن الأصح رجوعه إلى قولها وعليه الفتوى » انتهى .

توهين الأستاذ مؤلف الرسالة لرهبه الرواية :

قال الأستاذ ما معناه : « لم تبين لنا هذه القصة من هؤلاء الذين أرسلوا

الى سلمان ، أهم الفرس الذين كانوا في بلادهم ، أم الذين أقاموا باليمن ، وفي أي زمن كان ذلك ، ومن الذي أرسلوه أعربي أم فارسي ، وهل كان سلمان إذ ذاك بالمدينة أم بالعراق . فأما الفرس الذين كانوا باليمن فكانوا مختلطين بالعرب ، وكان هنالك مسلمون يستطيع أولئك الفرس أن يتعلموا الفاتحة منهم . وعبارة ( حتى لانت ألسنتهم تشعر بأنه كان عندهم من يعرف العربية بل من يعلمهم الفاتحة بالعربية ) .

« وإن كان هؤلاء ببلاد الفرس فلا يعقل أن جماعة من رعايا ملك يمزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يجرؤون على الصلاة ، وعلى إرسال رسول لسلطان . ثم إن التاريخ لم يذكر أن أحدا من الفرس المقيمين ببلادهم أسلم في زمن هذا الملك ولا في زمن من بعده . وعلى فرض أن هذا الخبر صحيح فإن عمل الصحابي ليس بحجة . ثم إن هذا الدليل عليك لالك ، فهل تريد من الترجمة أن الأجانب يقرءون بها حتى تلين ألسنتهم بالعربية ؟ إن كنت تضمن لي هذا فأنا أول من يدعو معك » .

تقول في رد هذا :

إن اليمن كانت ولاية فارسية ، فلما سمع أهلها ببعث النبي صلى الله عليه وسلم وتأيد الله له قدم عليه وفد منهم مسلمين ، وأسلم واليهم الفارسي معهم ، والبلد الذي تحتله دولة يكثر فيه جنسها عادة ، فيجوز أن يكون الذين كاتبوا سلمان باليمن . وما الذي كان يضطرهم الى الصلاة بلغة لا يفهمونها ، وهم لم يتعودوا ذلك ولا عهدوه في غيرهم ، ولا سمعوا بأن الاسلام يحظره ، فكتبوا الى صديق لهم أن يوافيهم بترجمة الفاتحة ، ففعل . ويجوز أن يكون هؤلاء بمكة أو بالطائف أو بالبحرين أو غيرها من بلاد العرب ، أو في بلاد الفرس نفسها وقد أسلموا سرا . فأى شيء في هذا يستبعد العقل ؟

يقول الأستاذ : « إن هذا الدليل عليك لالك فهل تريد من الترجمة أن الأجانب يقرءون بها حتى تلين ألسنتهم بالعربية فيتركوا الفهم و يقرءوا القرآن بالعربية ؟ فإن كنت تضمن لي هذا فأنا أول من يدعو معك » .

## نقول في رد هذا :

من الذى قال إننا نترجم القرآن ليقراه الناس فى الصلاة ؟ إن كل ماقلناه أننا نترجم معانى القرآن لتصحیح التراجم الخاطئة ، إذ لايجوز شرعا ترك المعانى القرآنية محرفة فيها ، ولتفہيم الأجانب سمو ديننا ، وأن كتابه يهدى للتي هي أقوم فى جميع المجالات الانسانية . فلماذا يلزمنا الأستاذ بما لم نقله ولا قاله أحد من الذين تصدوا لهذا المشروع ؟

وما معنى قوله : « فان كنت تضمن لى هذا فأنا أول من يدعو معك » ؟ فكيف يدعو معى لترجمة القرآن وهو الذى يدعى أن الأئمة أجمعوا على عدم جواز ترجمته ، وأن ترجمته تبديل لكلمات الله وتحريف لكتابه ، وجناية على اللغة العربية ، وحل للجماعة الاسلامية ، وخروج على جميع الأصول الدينية ؟

أست القائل فى الصفحة التالية :

« أجمع الأئمة الأربعة وجهاير المسلمين على ماأتى :

(١) عدم جواز ترجمة القرآن .

(٢) عدم جواز كتابته بغير العربية .

(٣) عدم جواز القراءة بغير العربية خارج الصلاة » .

فكيف بمد اعتقادك هذه الأمور الثلاثة ، وقولك باجماع الأمة على عدم جواز قراءته بغير العربية حتى خارج الصلاة ، تقدم على الدعوة معى لترجمته والصلاة بالترجمة حتى تلين الألسنة للقراءة بالعربية ؟

خلنا من هذا الآن .

يقول الأستاذ : أجمع الأئمة الأربعة على عدم جواز ترجمة القرآن ، ثم عاد فقال بمد خمس صفحات : « أجمع الأئمة الثلاثة وجمهور المسلمين ، ماعدا الامام وصاحبيه ، على عدم جواز القراءة بالترجمة فى الصلاة مطلقا » .

وقد سبق له أن قال مرارا إن الامام رجع عن قوله وقال بمدم جواز القراءة بغير العربية مطلقا ، خلافا لصاحبيه ، فعلى أى تأكيده نعلم في هذه المسألة ؟

ولو أردنا أن نتتبع جميع ما أتى به الأستاذ من الأقوال لاستخرجنا منه عجبا ، فندعه وما كتب ، وهو أدري بمكانه من التمهيص من كل أحد سواء . وقد ذكرنا أن مسألة ترجمة معاني القرآن ككل مسألة يكثر حولها الخلاف حتى بين أهل المذهب الواحد ، فيستطيع من يريد الجدل للجدل ، لا لتجلية الحقائق ، أن ينقل بعض تلك الأقوال في صعيد واحد ، فيخيل لمن لا علم له بالخلافات الفقهية أنه يسوق الفقه كله بين يديه إدلالا على مايقول .

ولكننا أتينا هنا على أقوال بعض العلماء الأولين من جميع المذاهب ، بجواز ترجمة معاني الكتاب الكريم الى اللغات الأجنبية ، بقصد نشر دعوة الاسلام في العالم الغربي ثانيا . فلا يعقل والحالة هذه أن نكون حيال بدعة سيئة من البدع التي يدحضها الدين .

فاذا خيل لبعض أهل الغرور أن أجلاء العلماء المعاصرين يتأثرون بسحر المدينة الغربية وأساليبها في الدعاية ، وينزعون الى تقليدها ، فهل يمكن أن يقال إن الامام أبا حنيفة وصاحبيه وجميع علماء مذهبه في جميع العصور يفترون به فيتناقلونه راضين عنه مقتنعين به ؟ وإذا صح ذلك فيهم على فرض الحال ، فهل ينصح في علماء من مذاهب أخرى كالشاطبي وابن بطال والمقدسي والشافعي نفسه في أحد قوليه ، وقد سبقوا هذا العهد بقرون كثيرة ؟

كل ما في المسألة أن ترجمة القرآن من المسائل الخلافية ، وقد أجمع المسلمون قديما وحديثا على أنه لا بأس على أحد من الأخذ في تلك المسائل ببعض الأقوال دون البعض الآخر ، فهل يحمل لبعض المتكلمين أن يتصدوا للصد عنها متممدين لضروب المباحكات والمغالطات لهوى في نفوسهم ، أو تعصبا لآرائهم ؟

## التلاعب بالمسائل الخلافية

أطلق الاسلام لأهله حرية البحث والنظر ، وحرم عليهم التقليد الأعمى ، وأشعرهم بالتبعية الشخصية الملقاة على كل منهم حيال عقائده وأعماله وخواطره ، وأعلن كل إمام في الدين أنه بريء ممن يقلده بغير نظر في أدلته ، لذلك تعددت المذاهب ، وتشعبت الآراء حتى بين أهل المذهب الواحد . وهذه الحرية من أفضل الوسائل في الوصول الى الحقائق .

ولكن بعض من لا حريجة لهم في الدين في الأجيال الحديثة اتخذوا هذه الخلافات وسيلة للتلاعب بالأمور الفقهية ، وإصدار فتاوى متناقضة في المسألة الواحدة ، طلبا للتفوق على الخصوم من وراء هذه المحاولات الاجرامية ، ولتصيد منفعة دنيوية .

وكثيرا ما استغل المتلاعبون سذاجة الدهماء في سبيل تعطيل مشروعات عظيمة ، وإصلاحات خطيرة ليس من مصلحتهم حدوثها . ومن أين الدهماء أن يفرقوا بين الحق والباطل من خلال أقاويل ومناقشات ومغالطات وسفسطات لا يستطيعون قراءتها صحيحة ، فضلا عن فهمها وإدراك وجه الصواب منها ؟ على هذا الأسلوب يجري المتلاعبون اليوم بالخلافات الفقهية ، حيال مسألة ترجمة المعاني القرآنية ، فبينما يكتب فقيه كالأستاذ الشيخ محمد عبد السلام القباني المدرس بكلية الشريعة كما نشره له البلاغ في ١٧ مايو الحالي وهو :

« القرآن واجب التبليغ لجميع الأمم ، وهذا الوجوب منصب على تبليغ القرآن نفسه ، ولا يكفي تبليغ الرسائل ولا المؤلفات عنه ، وهو مملوء بالآيات الدالة على وجوب تبليغه نفسه الى الكافة ، فأما تبليغه للعرب الذين نزل بلسانهم فقراءته عليهم ، وأما تبليغه لغير العرب وهو فرض واجب معلوم من الدين بالضرورة ، فلا طريق لهذا التبليغ إلا ترجمته لكل أمة يراد تبليغه لها ، ولا يكتم عن كل أمة منه حرف واحد » .

قلنا بينما يكتب هذا العالم الفقيه ما رأيت مستنداً على النصوص الفقهية ، يكتب عالم فقيه آخر هو الأستاذ صاحب الرسالة التي نرد عليها مستنداً على الفقه كما بدعي قوله : إن ترجمة القرآن من أشد الكبار وإن المسلمين أجمعوا على منمها ، وتبديع من يحاولها ، وأنها تضر الدين ، وتضيع اللغة ، ويخشى منها على القرآن نفسه الخ .

بل إننا نستطيع أن نأتي في هذا الباب على ما هو أشد وقماً في أنفس القراء من هذا ، فنستطيع أن نأتيهم بأمثلة على صدور فتويين مختلفتين في موضوع واحد من فقيه واحد ، أفتى في إحداها بالجواز مع الاستحسان في أمر معين ، وأفتى في الأخرى بالتحريم مع الاستهجان في الأمر نفسه ، مستنداً في كلتا الفتويين على نصوص وأقوال من كل مذهب .

فهذه الحالة لا يجوز أن تغيب عن نظر الناس . نعم إنه يصعب عليهم التمييز بين الصحيح والسقيم من هذه الفتاوى المتناقضة ، ولكن لا يصعب عليهم أن يرجعوا من دينهم إلى مبادئ أولية مقررة أجمع عليها المسلمون في كل زمان ومكان ، وهي :

( أولاً ) أن هذا التخالف في الأقوال يدل على أنه ليس هنالك إجماع ، إذ لو كان إجماع لما وجدت كل من الطائفتين المتنازعتين ما تؤيد به رأيها من أقوال الفقهاء ، ولم يجد الفقيه الواحد الذي ذكرناه ما يؤيد به فتوييه المتناقضتين من أقوالهم .

( ثانياً ) أن كل أمر مختلف فيه يمكن العمل بالوجه الموافق للمصلحة منه عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « اختلاف أمتي رحمة » .

( ثالثاً ) أن الضرورات تبيح المحظورات .

ففي المسألة التي نحن بسبيلها قد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن مذهب أبي حنيفة يبيح ترجمة القرآن والصلاة به مترجماً ، وكتابته في كتاب مع القرآن العربي

المنزل . وثبت أيضا من أقوال علماء كبار من المالكية كابن بطال والشاطبي وآخرين من الشافعية وأمثالهم من الحنابلة ، أنهم يستحسنون ترجمة معاني القرآن للدعوة الإسلامية باعتبار أننا مكلفون بتبليغه للأمم كافة . فجميع هذه الأقوال تبرر مشروع ترجمة معاني القرآن وتجعله من المشاريع التي ينتظر من ورائها نفع كبير للدعوة الدينية .

فاذا لم تكن ترجمة القرآن جائزة في مذهب أبي حنيفة ، ومستحسنة لدي كثير من كبار علماء المذاهب الأخرى كما رأيت ، أفلا نكون في حل من ترجمته استناداً على القاعدة الإسلامية الشهورة ، وهي أن الضرورات تبيح المحظورات ، درءاً للتحريف الذي وقع في التراجم التي قام بها أفراد من الأوربيين في أزمان مختلفة ؟

أيرضى مسلم في الأرض أن يبقى القرآن محرفاً مشوهاً في تلك التراجم استناداً إلى مزاعم بعض الذين يتلاعبون بالخلافات الفقهية ، شأنهم في كل مسألة فرعية ، سواء أكان ذلك قضاء لمآرب شخصية ، أو قصوراً منهم في العلم بالشئون العالمية ؟

إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على سلمان الفارسي أن يترجم الفاتحة ويصلي بها قوم من الفرس ، أفينكر اليوم علي من يتصدى لترجمة معاني القرآن لافهام الأمم القوية حقيقة الدعوة الإسلامية التي وقف لها حياته الشريفة ، ودعا أتباعه للدعوى على بثها في العالم كله باعتبار أنها حق مشاع للبشر كافة ؟

إن الامام أبا حنيفة الذي أدرك القرن الأول وأخذ علمه من التابعين ، قد استند على هذه السابقة فقرر بناء عليها جواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجماً ، أفنتورع نحن عما لم يتورع عنه هو وأصحابه ، ونحن في القرن الرابع عشر ، ومقصودنا أدعى للاهتمام والمناسبة من مقصده ، فقد كان يقرر جواز العمل برخصة من رخص الدين ، ولكننا حيال تصحيح تحريفات وقعت

في معاني كلام الله القديم في تراجم قام بها رجال من الأمم الأجنبية . وهو أمر جلال لو تمايننا عنه وقمنا في إثم عظيم ؟

يقول المتلاعبون بالخلافيات الفقهية : إن خبر ترجمة سلمان للفاتحة لم يثبت . نقول : إن قولهم لم يثبت على الإطلاق غير صحيح . فانه ثبت عند أبي حنيفة وأصحابه فأخذوا به كما هو وارد نصاً صريحاً في كتب الحنفية . وإذا كان هذا الخبر لم يثبت عند بقية الأئمة فلم يأخذوا به فليس هذا بقريب . ففي الفقه أحكام كثيرة ثبتت مصادرهما عند واحد فأخذ بها . ولم تثبت عند الثلاثة فرفضوها ، فإذا أراد أحدنا أن يتكلم عن واحد منها في هذا العصر فلا يجوز له أن يقول إن هذا الخبر لم يثبت ، مرسل النقي إطلاقاً على هذا النحو ، فان هذا العمل لا يمد أمانة في العلم ، ولكن يجب عليه أن يفصل فيه القول ، فيقول : ثبت عن الامام فلان فأخذ به ، ولم يثبت عند الثلاثة فرفضوه .

وعند ذلك فلا يضير أحد المسلمين أن يأخذ بقول ذلك الامام في ذلك الحكم إن رجح عنده قوله على أقوال غيره ، بعد النظر في أدلته وأدلتهم ، فقد أجمع المسلمون على أن من سار على هذه الطريقة في ترجيح قول على قول فلا لوم عليه . وفي الفقه أحكام كثيرة انفرد بها إمام واحد وخالفه الثلاثة فيها ولم يجد المسلمون مانعاً من العمل بها .

ولكن الأستاذ صاحب الرسالة لم يعالج المسألة على هذا النحو ، لثلا يقال له مادامت ترجمة القرآن توافق مذهباً من الأربعة المذاهب ، فلا بأس من التعويل عليه . فحاول إتباع ذهن القاريء بالشبهات ليستولى عليه ضعيفاً مستخدماً ، فزعم أولاً أن الامام لم يستند على خبر سلمان ، ثم اعترف بأنه استند اليه ، ولكنه لما تبين له وهنه تركه وأخذ به صاحباؤه دونه ، ثم شرع الأستاذ يوهن في ذلك الخبر ويشكك في طريق وصوله ، فبذل في ذلك جهداً جهيداً . ولكن فاته في النهاية أهم ما يسأل عنه مطالع رسالته وهو قوله : إذا كان ما تقوله حقاً فكيف تجمع جميع كتب الحنفية على أن أبا حنيفة لم يرجع

عن هذا القول ؟ وكيف يقرر علماء أعلام من أئمة الحنفية في هذا العصر أن  
أبا حنيفة لم يرجع عنه ؟

الغرض من هذا التهويش كله التأثير في عقول العامة ليسيئوا الظن بهذا  
العمل والقائمين به ، ولا يبألون في سبيل الجري وراء هذا الهوى ما يصيب  
سمعتهم وسمعة الدين عند ذوى العقول داخل هذه البلاد وخارجها .

تقد بلى العالم الاسلامي كثيراً بالثبطين ، ولكنه لم يبل في أسوأ أدواره  
بثبطين في إبلاغ دين الله للعالمين ، كما هو حاصل اليوم إزاء ذلك العمل العظيم  
وهو ترجمة القرآن الكريم .

لا جرم أن هؤلاء من طراز طريف ، ولكنها طرفافة تظهرنا أمام العالم  
بمظهر شاذ ، في زمان ندعى فيه أننا جديرون بمزاملة الأمم في الحياة ، ومشاركتها  
النظر في الشؤون الاجتماعية والأدبية .

إنهم للتأثير في عقول العامة يدعون أن للقرآن معانى لا تنتهى ، وأنه من  
بعد الغور بحيث لا يحوم حوله فهم ، وأنه لهذا السبب لا يمكن ترجمته ، والعامة  
يروقهم هذا القول ويهتفون لقائله ، وينيب عن هؤلاء المتلاعبين أن لمزاعمهم  
هذه آثارا سيئة على المسلمين وعلى الاسلام نفسه .

أما على المسلمين فلا أنه يحقق زعم الزاعمين ، من أركان الاستعمار بأن العالم  
الاسلامى أشبه بجمعية سرية واسعة النطاق ، يبيت أعضاؤها للمدنية شر النيات  
ويعملون على ذلك في الخفاء تحت سلطان تعاليم قرآنية لها معان ذات وجوه  
رمزية ، لا يمكن ترجمتها إلى لغة أجنبية ، ويتخذ هؤلاء الاستعماريون امتناع  
المسلمين عن ترجمته دليلا محسوسا على مايقولون .

وقد سبق لحكومات استعمارية أن حرمت على رعاياها تلاوة آيات من  
القرآن الكريم وتفسيرها للعامة جريا وراء نمام الكتاب الاستعماريين الذين  
نذ كرم ، وقد سبق لتلك الحكومات أيضا أن منعت رعاياها الحج عملا بهذه  
النمام عينها التي يسمى أعداء ترجمة القرآن اليوم لتقويتها في نفوس طلاب  
الضنط على المسلمين .

أما تأثير مزاعم المعارضين على الاسلام نفسه فتأتى من ناحية إساءة الأمم  
الظن به وبكتابه ، فانهم سيقولون : مالنا ولدين يدعى أهله أنهم لم يفهموا كتابه  
حق الفهم بعد أن مر نحو أربعة عشر قرنا على نزوله ! وما لنا ولدين يشترط  
علينا أن نتعلم العربية لنشاطهم الانحراط في سلك أتباعه ! وكيف يعقل أن  
دينهم كما يقولون عام وهم يحصرونه في لغتهم الى حد أن يضنوا على بقية اللغات  
بمعاني كتابه ؟ !

وهنا يتدخل دعائم الدينون ويقولون لهم : دعوا القرآن وشأنه ، أما قلنا  
لكم إنه غذاء عقيم لأهله ، وإنه ليس بشيء غير مصاصة العقلية العربية ، وإن  
خير ما فيه منقول عن التوراة والانجيل الخ .

فهل لهذه النتيجة السيئة يعمل المعارضون لترجمة القرآن الكريم ، فيكلفون  
أنفسهم إثارة الشبهات الوهمية ، وتمحل العلل الخيالية ، ليوهموا العامة أنهم  
يعملون لله ورسوله ، وفي سبيل صيانة دينه ؟

وهل تروج سفطاتهم على عقول الناس فيتورطوا معهم في منع نور الله  
أن ينفذ الى قلوب عباده ، ويستديموا بذلك الشبهات على القرآن وأوليائه ؟  
لا أظن ذلك يكون ، فان المسلمين أكيس أن يتخذوا بباطل ، أو  
يؤخذوا بمحال .

## فضيلة الاستاذ الشيخ محمد سليمان أيضا

يؤسفني جدا أن أرى عالما أديبا بارعا كفضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان يتقلب عليه الاندفاع فيسوقه الى موارد لن يحمد مصادرها ، سواء أكلت محاولاته بالفلج ، أم بامت بالخيبة .

كتب الأستاذ بضع مقالات في جريدة كوكب الشرق يتابع فيها حملاته على ترجمة معاني القرآن الكريم ، فكنت أقرؤها وأسائل نفسي : هل يصدر الأستاذ فيما يكتبه فيها عن عقيدة أم عن هوى ؟ وأنا أضن به على كلا الأمرين معاً .

فهل يعتقد الأستاذ أن وعد الله بحفظ القرآن من التحريف والتبديل يتناول الترجمة أيضا كما صرح بذلك في مقالته المتتامة بالكوكب ؟

فتمت اعتبرت الترجمة إهانة للكتب ، وقد شرف الله اللغات فأنزل كتبه السابقة بكثير منها للأمم ، وفيها ما في القرآن من التعاليم الالهية ، والحكم الربانية ، وقد صرح الحق تعالى نفسه بذلك في كتابه الكريم فقال : « وإنه ( أي القرآن ) لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين . وإنه ( أي القرآن ) لفي زبر الأولين » والزبر هي الكتب .

هذه الآيات تدل دلالة قاطمة على أن معاني القرآن الكريم قد أنزلت كلها باللغات المختلفة للأمم السالفة ، وقد أعاد الله إنزالها بلسان عربي مبين للأمم العربية .

وأكد الله هذه الحقيقة في آية أخرى فقال تعالى : « إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » .

فاذا كان الله يحتقر اللغات إلا العربية لأنزل جميع كتبه بها ، ولكن الله الذي يقول : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم

وألوانكم » يتنزه عن تفضيل لغة على لغة ، وهو رب العالمين جميعا . أفيمقل أنه يكره أن ننقل معاني كتابه العربي المبين الي لغات الأمم العاصرة ، وقد كلفنا بدعوتها اليه ؟ أندعوهم اليه دون أن نحمله اليهم باللغات التي يفهمونها ؟

عرف الناس قديما وحديثا أن الترجمة هي الذريعة الوحيدة لتعميم العلوم والآداب بين الناس ، وأنه لولاها لتقاطمت الأمم وتناكرت ، وجهل بعضها بما فتح الله به على بعضها الآخر ، فبقيت مسابير العلم موزعة بينها لا يتألف منها مجموع قائم بنفسه ، تتوارثه الشعوب وتستودعه أمانة لن يخلفها كما هو حاصل اليوم .

فهل رب العالمين جل وعلا يحفظ كتابه من الترجمة وهي بحيث علمت شرفا وجلال أثر ، لا سيما وهو يصرح بأن القرآن سبق إنزاله قبل الاسلام بلغات الأمم ؟

وهل يجروأ أحد على مثل هذا القول وقد سمح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تترجم الفاتحة ويصلى بها ؟  
إنكم تنكرون ذلك ، وماذا يجدي إنكاركم له وهو مأخذ مذهب هو أكبر مذاهب المسلمين على الاطلاق وأولها ظهورا ، ولم يطمع عليه نقدة الحديث ، ولا مسته المذاهب التي لم تأخذ به بسوء ؟

ألا تعجب ان يقوم صحابي جليل بعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيترجم الفاتحة ليصلى بها قوم من الأجانب ، ويستدل بذلك في القرن الثاني أقدم الأئمة فيجيز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما ، ويستحسن ترجمته للدعوة جهابذة من جميع المذاهب في كل زمان ومكان ، ويقوم بين ظهرانينا بعد نحو أربعة عشر قرنا رجال يعتبرون ترجمة القرآن حوبا كبيرا ، بل يزيد عليهم أمثلهم قولا لم يسبقه اليه أحد في هذه الملة ، وهو أن وعد الله يحفظ القرآن يتناول الترجمة أيضا :

وكتب الأستاذ أيضا في تلك المقالات : « القرآن روح والروح لا يترجم  
والقرآن نور والنور لا يترجم » .

نقول : ليس هذا من اللعب بالألفاظ ، ولا من اللعب بالعقول ، ولكنه لعب  
بالسمعة الذاتية ، وهو ما نضن بالأستاذ عليه أيضا .

قال الله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » وقال : « وأنزلنا  
اليكم نورا مبينا » ، معناه أن ما أودعناه في القرآن من الوصايا والتعاليم روح  
تحيا به القلوب ، ونور تهتدى به العقول .

فاذا سمح الأستاذ لنفسه أن يقول إن القرآن روح ونور وهما لا يترجمان ، فهل  
يسمح لمطل أن يقول : نعم إنه روح ونور ، وهما لا يقرآن أيضا ولا يكتبان ،  
ولا يسمعان ، ولا يفسران ، ولا تتمدد لهما معان ؟ !

مهلا أيها الأستاذ ! إن للشعريات مجالا غير هذا المجال ، فما يتلهم به من الكلام  
في الأدبيات ، وما يتنادر به من المبالغات في المسامرات ، لا يحسن في أدعى المقامات  
للجد ومراعاة قوانين البحث ، وهل وضع النقد الدقيق ، والتمحيص البليغ ، والمنطق  
المستصفي ؛ إلا لمثل هذه المواطن ؟

إن آباءنا وضعوا لتقرير أمثال هذه الكليات عشرين عالين سمو أحدهما علم  
الأصول والثاني علم الكلام ، سخروا لتقويمها جميع العلوم ، لتصدر فيه المسائل  
عن قوانين محكمة ، لا تدع ثغرة يتقحمها وهم أو خيال أو هوى . أفنسمح نحن  
لأنفسنا أن نخضع أشرف موضوع وأجله للأخيلة الشعرية والألاعيب الكلامية ،  
غير مكترئين لما ينبئ عليها من متناقضات وسفسطات ؟

لا جرم أن هذا كثير ، وفوق الكثير ، وهو من أهل العلم كبير وأي كبير !  
يقول الأستاذ : « القرآن عربي وسره في عربيته ، وأبي الله إلا أن يكون  
عربيا » .

نقول : هذا الكلام مناقض لكلام الله نفسه ، فإن الله يقول عن القرآن  
في آية محكمة : « وإنه ( أى معنى القرآن ) لفي زبر الأولين » . وهو كلام صريح

في أن معاني القرآن الكريم وجدت كلها في كتب الأولين بلغات كثيرة ، فأين منه قول الأستاذ إنه عربي وسره في عربيته ؟ فهل يعقل أن سر الحكمة الالهية يتوقف على اللغة التي تمثلها ؟ وهل يتصور أن تلك الحكمة نفسها كانت في الكتب التي أنزلها الله على الأمم بلغتها مجردة من كل سر ، وخالية من كل تأثير ؟

هذا كلام لو ترجم الى لغة أجنبية لكان أثر صده عن الاسلام أكبر من أثر صد ألوف من المبشرين عنه ، فهل يسر الأستاذ هذه الثمرة لجهوده المتكررة ؟ من أغرب ما قرأناه من ضروب الاجابات على الاستشكلات قول الاستاذ : « فهذا القرآن المنزل من رب العالمين ، قد أنزله ذكراً لجميع العالمين . وهذا الرب أنزله عربياً ، ويعلم أنه عربي ، ويعلم أن العالم مملوء بغير العرب ، ومع ذلك قرر أنه ذكر لجميع العالم ، وأنه قائم بوظيفته مع عربيته قياماً كرده في آيات عدة .

« نعم إنه لعجيب أن يكون هذا القرآن العربي ذكراً وذكري للعالمين مع اختلاف ألسنتهم ، وتعدد لغاتهم . وقد ذكرت الآيات اللاتي ترفع هذا العجب إذ كان نازلاً من رب هذه الخلائق . وكأن الحق تعالى أراد أن يدفع هذا العجب أيضاً بآياته صريحة قاطعة في قوله تعالى : « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافئين . إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين » . فترام تعالى يبين لهم في الآية الأخيرة أنهم سيرون هذا الذي ظنوه عجباً حقيقة واقعة ، وقد وقعت وستظل واقعة باذن ربها ، وسيظل القرآن العربي ذكراً للنبي العربي وقومه العرب » . هذا ما أجاب به الأستاذ على ما أورده على نفسه من الاستشكال ، ومؤداه أن القرآن سيكون ذكراً للعالمين كلهم وهو باق على عربيته لا يترجم إلى اللغات العالمية ، كما هو الآن ذكر للأمم الآخذة به وهي ذات لغات مختلفة .

يقول الأستاذ هذا ، وفاته أن أربعة أخماس الأمة الاسلامية أجنبية عن العربية ، وأنهم قد حرّمواهم وآباؤهم منذ أسلموا من هذه الذكرى القرآنية

لجهلهم بالعربية ، فهم لا يتلونه ولا يفهمونه . ولذلك ترجمته الى لغاتها شعوب كبيرة منهم كرهت أن تبقى على هذه الحالة من الجهالة بكتابتها الالهى . فترجمه الصينيون والهنديون والملايويون والفرس والترک . وقد بدت منهم الآن رغبة شديدة فى نقله الى اللغة الانجليزية . وفى حيدر اباد الدکن اليوم لجنة تترجمه بطلب من أهل جاوا ( راجع ما كتبناه هنا فى صفحة ٢١ تقـلا عن جريدة البلاغ ) .

يقول الأستاذ إن هذه المعجزة القرآنية قد وقعت وستظل واقعة ، أفلا يعلم الاستاذ ، وقد صرف معنى الآية على غير وجهها الصحيح كما سترى ، أن أكثر من ثلاثمائة مليون نفس من المسلمين لا يزالون محرومين من نعمة تلاوة القرآن لجهلهم العربية ؟ فهل هو يمتقد أن الصينى والهندى والمغولى والجاوى والفارسى والترکى والملاوى والفلبينى وغيرهم ، يفهمون العربية ويقرءون القرآن بها ! إن كان هو يمتقد ذلك فهى معلومات مخطئة عن العالم الاسلامى ، وإن كان هو يعرف أنهم لا يفهمون العربية ولا يقرءون القرآن بها ، فعلى أى وجه يعقل أنهم ينعمون بذكرى القرآن ، ويتمتعون بأنواره القدسية ؟

على أن إجابة الأستاذ على ما استشكل به على نفسه تخالف ما أجاب به كبار العلماء الأولين أنفسهم ، فقد ذكر ابن حجر فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى قول ابن بطال من أئمة المالكية فى مثل هذا المقام ، وهو قوله :

« إن الوحى كله متلوا كان أو غير متلو إنما نزل بلسان العرب . ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة عربا وعجما ، وغيرهم لأن اللسان الذى نزل به الوحى عربى ، وهو يبلغه الى طوائف العرب ، وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم » .

وقال الأمام الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » :

« فان قلت لم يبعث رسول الله للعرب وخدمهم ، وإنما بعث إلى الناس أجمعين بل الى الثقلين ، وهم على السنة مختلفة ، فان لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرآن بلغتهم ، فلغيرهم من الأعاجم الحجة . قلت لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو واحد منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك » .

يمثل هذا كان يرد أئمة الاسلام هذا الاستشكال ، وهي أجوبة تتفق والمنطق ، وتتلاءم وسنة الله في العالم ، وتقبلها أعصى العقول في العصر الحاضر ، ولكن إجابة الأستاذ على هذا الاستشكال لا يقبلها أحد يعتد بعقله .

على أن الأستاذ قد أخطأ في فهم قوله تعالى : « ولتعلمن نبأه بعد حين » فصرفه على ما يؤيد الاستشكال الذي أورده . فان الآية لم تجيء بصدد الدلالة على تأثير القرآن في عقول من لا يفهمونه من طريق الإعجاز ، ولكن جاءت بصدد تخويفهم من عدم الاكتراث بوعيده ، فأكد لهم بأنهم سيعلمون نبأ هذا الوعيد بعد حين . قال المفسرون أي حين يموتون ، ويرون العذاب الهون ، أو حين يظهر الله الاسلام وهم له كارهون ، وعنه منصرفون .

هذا ما وفقنا أن نرد به على المعاكسين لترجمة معاني القرآن الكريم ، هداياتنا الله وإياهم إلى صراط مستقيم ما

محمد فريز وهدي